من الطارق

أنا رمضان

د. خالد أبو شادي

طيبة

من الطارق

أنا رمضان

خالد بوسادي

اسم الكتاب

من الطارق

المؤلف

د/ خالد أبو شادي

عدد الصفحات

٩٦

الناشر

طيبة للنشر والتوزيع

العنوان: ٢٤ شارع شريف حلوان - القاهرة

ت/ ٠١٠١٣٩٠٢٩٣ (٠٠٢)

رقم الإيداع

١٤٤٤٠ / ٢٠٠٥

أنا رمضان ..

أسكب الأنوار فجرًا في قلوب مظلمة
أملأ الأرواح طهرًا في نفوس هائمة
أجعل التقوى دليلاً كي تعود إلى الطريق
أمةٌ عزَّت وسادت يوم عاشت مسلمة

أنا رمضان ..

دمعة العاصي بليل خجلةً ممن عصاه
سجدة الملهوف للرحمن يستجدي رضاه
موجة الإيمان ألقت نحو شطآن النجاه
نفحة من فضل ربي جلَّ ربي في علاه

أنا رمضان ..

قوة الإيمان في حرب لظاها دائرة
نجدة الأقصى الذي يشكو الجراح الغائرة
دمعة المسكين أمحوها بوعد لن يغيب:
نصركم آتٍ قريب .. يا قلوباً طاهرة

قبـل الزيــارة

1. ازهد في الدنيا:

قال أبو عمير الصوري:

كلمة لك من أخيك خير لك من مال يعطيك، لأن الكلمة تنجيك والمال يطغيك.

2. قصّر أملك:

قال ابن السماك:

الرجاء في قلبك قيد في رجلك، فأخرج الرجاء من قلبك تحل القيد من رجلك.

3. اعمل بما قرأت:

قال يحيى بن معاذ:

الكلام حسن، وأحسن من الكلام معناه،
وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه،
وأحسن من ثوابه رضا من عملت له.

4. أحسن الظن بربك:

قال أبو سليمان الداراني:

إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه أبدًا،
إنما رجع من رجع من الطريق.

5. ادعُ غيرك:

قال سهل التستري:

شكر العلم التعليم، وشكر العمل مزيد المعرفة.

لأقصى استفادة

لأن الزيارة لا تتكرر إلا مرة واحدة كل عام: والزائر قد يعود العام المقبل، وقد يزور وأنت في دار أخرى، لذا كانت هذه المقترحات لاغتنام هذه الفرصة، وتحويل هذا الشهر الكريم إلى قوة تغييرية ومعونة ربانية وثورة إيمانية تجتاح كل بيت، وتعمر كل حي، وإليك بعض هذه الأفكار:

- **أنت شريكي:** هذا الكتاب عبارة عن خطة عمل، لذا ستجد داخله فراغات مخصصة للعمل، وهي أسطر لم يكتب فيها شيء لتقوم أنت بملئها بنفسك، فعندها ضع الكتاب جانبًا، وإياك أن تكمل القراءة حتى تنفّذ ما طُلب منك، فهي بمثابة خطوات لازمة لبلوغ الهدف المنشود، قد تركتُها لك لتشاركني الأجر، وتشترك معي في الكتابة، وتعينني على إخراج الكتاب في شكله النهائي، فأنا وأنت شريكان: ولكل منا دور، وهي فراغات متروكة على سبيل المثال، وعليك أن تستخرج بنفسك فراغات أخرى من بين طيات الكتاب لتضاعف استفادتك منه، وتجني ثمرة قراءته.
- **القراءة الجديدة:** لتكن خطتك مع هذا الكتاب: اكتب أفضل ما تقرأ، واحفظ أفضل ما تكتب، وبلّغ من حولك أفضل ما حفظت.
- **الإذاعة اليومية:** استخدم مادة هذا الكتاب في التحضير لخاطرة يومية في المسجد المجاور، أو في مُصلّى كُلّيتك أو عملك: على أن لا تتجاوز الخاطرة ٥ دقائق، وتكون عقب صلاة الظهر أو العصر.
- **الإذاعة الأسبوعية:** قدّم نسخة من هذا الكتاب لإمام مسجدك مع إهداء رقيق لينتفع بها في خطب الجمعة الرمضانية،

وتنال أنت أجر كل من سمع الخطبة.

• **الحلقة التعليمية:** اجعل هذا الكتاب موضوع المدارسة مع شباب الحي في حلقة مسجدية يومية عقب صلاة الفجر أو صلاة العصر، والاتفاق على الخروج بتوصيات عملية مناسبة.

• **اللوحات الإرشادية:** انتفع من مادة هذا الكتاب في عمل لوحات حائط مسجدية، أو أخرى تعلّق في مدخل عمارتك السكنية.

• **الطُّعم اللذيذ:** يمكنك وضع نسخ من هذا الكتاب في مكتبة المسجد المجاور، أو أماكن الانتظار العامة كالعيادات وغيرها لتعم الفائدة.

من بالبـــــاب؟!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

يا رمضان ..

مرحبا بك زائرًا حبيبًا .. غائبًا هزّنا الشوق إليه ..
قادمًا ساقه إلينا الحنين.

يا رمضان ..

هذا هلالك يسبقك .. يطلب الإذن ويطرق الباب ليدخل، فعلى الرحب والسعة، وعلى العينين والرأس.

يا رمضان ..

انشر نورك في الأرجاء .. بدد ظلُمات الأهواء ..
اقتل فينا بذر الشر .. اغرس فينا حب الخير ..
اشفِ القلب من الأهواء ..

يا رمضان ..

جفَّت مآقينا فأدركها، وأرهقت كاهلنا الذنوب فخففها، وتلاحقت على أفئدتنا الشهوات فواسها، وتدنّست الضمائر والنيات فطهّرها، وتعرّضت الأجساد لسخط الجبار فأنقذها، وتوالت صيحات الاستغاثة فأسرع!!

يا رمضان ..

احمل عبق الذكريات ونسيم التجلّيات، فكم تاق القلب إلى السّجدات! وتعلّقت النفوس بالنفحات، وأُعلن في الكون خبر عُرس جديد هو عُرس الطّهر على البركات، ودوّت في الأُفق ترانيم الذاكرين، وهوت الملائكة بأجنحتها إلى حلق المتهجّدين.

أخي .. إن لم يحيا القلب في رمضان فمتى يحيا؟! ومتى تبرأ الروح من دائها إن لم يكن ذلك في شهر الشفاء؟! ويل لمن نزل أرض المغفرة ولم يخرج منها بسهم.. ويل لمن شهد موسم الأرباح ولم يظفر من الجنة بقصر.. ويل لمن حضر سوق الرحمات فنام والسوق سينفض آخر الشهر.. ويل له.. ثم ويل له.

أخي.. دبّر لدينك كما دبّرت لدنياك.. لو دخلت في قدميك شوكة لسهرت تتألم شاكيًا طالبًا الطبيب، وهذه أشواك المعاصي ملأت قلبك منذ سنين فأين صوت الأنين؟! وأين طلب المعين؟! ويحك! ألا تتألّم لقلبك كما تألمت لبدنك؟!

رمضان طبيب رفيق .. يحمل إليك الدواء فكيف تردُّه خائبًا وقد جاءك هاديًا؟! وكيف لا تُحسن استقباله وبين يديه أسباب شفائك وبالمجّان!!

رمضان شهر نجاة: السمكة إذا وقعت في شباك الصيّاد ظلت تبحث عن ثقب تهرب منه، حتى إذا ما وجدته.. رجعت إلى الوراء.. ثم اندفعت بأقصى قوة لتنجو من ضيق الأسر إلى سعة الحرية، فإن لم تعزم هذه العزمة شوتها النيران بعد ساعة.

وأنت الآن أحوج ما تكون إلى مثل هذه العزمة، فالشيطان ألقى عليك شباكه وأحكم وثاقه، وخطة مكره هدفها في

النهاية أن تكون رفيقه في رحلة العذاب الأبدي، وأن تشترك معه في قيد واحد وأنتما تُشويان في نار جهنم سويًا!! فماذا أنت فاعل وكل شيء عليك: نفسك التي بين جنبيك.. دنياك التي تلهيك.. هواك الذي يريد أن يدمِّرك.. شهوتك المصممة على إهلاكك، لكن حسبك أن الله معك!! فقد ضاعف لك اليوم الثواب، وأغدق فرص الرضوان، وسلسل جند الشيطان، والدور الآن عليك.

ودورك أن تجعل من رمضان محطة تزوُّد للجنة، ودورك أن تتسلَّح فيه بالطاقة وتتجهَّز بالعزم، ودورك أن تجعل منه وقفة الحساب وصفحة المراجعة وخطة الإصلاح ووثبة الانطلاق.

أخي ..

رمضان زائر وأنت مزور فأين واجب الضيافة؟!

رمضان بحر ويوم العيد ساحل

فكم سيبلغ صيدك قبل بلوغ الساحل؟!

رمضان لؤلؤة تنتظرك في أصداف الأيام

فأين قاصد البحر الهُمام؟! أين الغوِّاص المقدام؟!

يا عيونًا جفّت من قلة الدمع.. هذا موسم المطر

يا قلوبًا أقسى من حجارة الجبل .. اهبطي من شدة الوجل

يا نفوسًا تائهة .. يا شخوصًا خاوية .. يا حيارى في صحاري مهلكة

رمضان أقرب أمل .. أرجى أمل .. آخر أمل

فأغلقوا باب الكسل .. وافتحوا باب العمل

هيا إلى العمل .. فورًا إلى العمل

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب مفتاح القلوب في موسم تتفتَّح فيه القلوب، وأسأله أن يجعل هذا الفتح إرهاصًا لفتح آخر وهو فتح الطريق إلى بيت المقدس: نفك القيد عنه، ونطرد اليهود منه، جزاءً وفاقاً، فتحًا بفتح، ونصرًا بنصر، ننصره على أطماع النفوس هنا فينصرنا على العدو هناك، وإلا فكيف نستبطئ نصرًا أضعناه؟! وكيف نشكو ظالمًا أعناه؟! وكيف ندعو ربًا هجرناه؟!

اللهم اجعل رمضان هذا العام غير أي رمضان فات، وأيقظنا فيه من رقدات الغفلات، وانفخ فيه من روحك في جثث القلوب الهامدات، اللهم استجب!!

كتبه راجي دعائك

خالد أبو شادي

من الطارق

من الطارق

الفصل الأول

رمضان كريم



كثيرًا ما يهنّئ الناس بعضهم في رمضان فيرددون هذه الكلمة دون أن يدركوا معناها، ودليل كرمه اليوم هذه الهدايا الغاليات التي اصطحبها معه أثناء زيارته لكل بيت، ليكون البادئ بالإحسان والمتفضّل بالإنعام دون سابق فضل منا أو معروف، بل في كثير من الأحيان ولا مجرد عرفان، ألا ما أشد ظلم بني الإنسان لأشرف ضيوفه اليوم: رمضان!!

صدَق نبيك!!

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! مُرني بعمل. قال: "**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**". قلت: يا رسـول الله.. مُرني بعمل. قال: "**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**" (صحيح). فكـان أبو أمامة لا يُرى في بيته الدخان بالنهار، فإذا رئي الدخان بالنهار عرفوا أن ضيفًا نزل بهم مما كان يصوم هو وأهله.

استقل أبو إمامة الصوم وظنه عملاً عاديًا لذا راجع رسول الله في قوله مرتين، إلا أن رسول الله ﷺ كرر عليه نفس الجواب تأكيدًا وتعليمًا وتربيةً وتنبيهًا إلى ما في الصيام من خير وبركات وأجر ودرجات.

سجدة شكر

ما أكثر الهدايا التي اصطحبها رمضان معه اليوم حين جاءنا زائرًا وما أغلاها، وما سال المداد على هذه الصفحات إلا تذكيرًا بهذه الهدايا لتظل محفورة في الذهن نابضة في القلب بادية على الجوارح، تسعى في شكرها برًا، وتعمل على رده الجميل علانيةً وسرًا، ومن الشكر الذي يمكن أن تقدمه الآن: سجدةٍ شكر. قال النووي في كتاب الأذكار: "اعلم أنه يُستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة أن يسجد شكرًا لله تعالى أو يثني عليه بما هو أهله".

والآن .. قبل إكمال القراءة، ضع الكتاب جانبًا واسجد سجود شكر على هذه النعمة الجليلة: رمضان.

....

....

....

هل سجدت؟! لا تقصّر فيما أمرتك به، فما تركت هذه الأسطر الثلاثة السابقة فارغة إلا لتنفق وقت قراءتها في سجدة شكرك، وما أردت بهذه السجـدة إلا أن يـرزقك الله المزيـد بأن يشرح صدرك ويهدي قلبك وييسر لك سبل العمل بما تقرأ ..

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧

والآن إلى عظيم الفضل وواسع الجود، وإلى أول هدية:

١- الثواب المنهمر من أول ليلة:

قال ﷺ: "**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منـاد كل ليلة: يا بـاغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر**". (حسن)

وبعد الاطلاع على الحديث السابق يحق لقلبك أن يمتلئ فرحًا ويطير طربًا لأنه وجد ضالته في حديث يحوي هدايا عديدة مجموعة في جعبة واحدة:

أ. صفدت الشياطين ومردة الجن:

والتصفيد في اللغة: هو شدُّ الأصفاد وهي القيود والأغلال في أيدي المسجونين وأرجلهم، لذا جاء في رواية مسلم: "**وسلسلت الشياطين**"، وهي التي كانت تسرح عليك طوال العام تؤذيك وتغويك، فأعانك الله عليها اليوم فقهر مردتها وسلسل سادتها، ليخمد في الصدر وسواسها، ويخنس في القلب إغواؤها، فمن كان اليوم أسير شهوة ملكته منذ سنين، أو صريع فتاة أركعته كعبد ذليل، أو أدمن أكل الرشوة والربا وأموال اليتامى والمساكين،

وأيما امرأة كشفت زينتها وأبدت مفاتنها للناظرين.. إلى كل هؤلاء نقول:

أبشروا.. فعين الله تصنعكم، والأبالسة في أصفادها ترمقكم، ونفوسكم إلى الخير وثّابة، وعن الشر هيّابة، ولم يبق إلا أن تعالجوا خطرات نفوسكم ووساوس قلوبكم، فمن أصر منكم على ذنبه بعد اليوم، فإنما هو انحراف داخلي لا ينتظر شيطانا يغويه حتى يكون هو المبادر إلى الشر ليقع فيه.

القرطبي شارح مبين

قال القرطبي: "فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان، فلو صفدت الشياطين ما وقع ذلك؟

فالجواب: أنها إنما تُغلّ عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أو أن المراد أن المصفد هم بعض الشياطين وهم المردة لا كل الشياطين، أو المقصود هو تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس، فإن وقوعها فيه أقل من غيره، لذلك لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية..".

المقاطعة!!

ولئن صفّد الله شياطين الجن، فإن شياطين الإنس يتكاثرون في رمضان وينشطون فيه دون غيره!! حتى إنهم ليقومون بدور إبليس على أكمل وجه، ويحتلون مكانه، ويملئون الفراغ الذي تركه، ويستعيرون صوته البغيض ويهتفون به في أذن كل مؤمن أول الشهر: أمامك شهر طويل فارقد.

ونظرة واحدة إلى أكثر ما يُعرض في الفضائيات في هذا الشهر تبرهن لك على ذلك، ففي رمضان يكثر الرقص والتثني، ويزداد العري والتغني، ويتهجّد الغافلون على أنغام الموسيقى، ويتعبّدون في محاريب اللهو، ويتآخون مع الشياطين، ويلتمسون التوفيق من الأبالسة، والنجاة من الهالكين، والرضا من المغضوب عليهم، والهداية من الضالين، ونظرة الوصال من أهل النار.

وفي الوقت الذي نطالب فيه الأمة بالنهوض وملاحقة العصر وزيادةِ الإنتاج ونبذ السلبية، تسير هذه الفئة في الاتجاه المعاكس، وتصر على المضي قدمًا في جريمة قتل متعمدة تستهدف أخلاق الأمة بالتسيب، وصلابتها بالتميع، ورجولتها بالتأنيث، وحصانتها بالانهيار، وما نشر هذا الفن المزعوم في هذا الوقت المبارك من العام إلا نشر نعي أمة يُراد لها أن تلبس الكفن بعدما رماها أعداؤها بالوهن، ولما كان هذا الوباء مستفحلا وقلَّ أن يسلم منه أحد في رمضان وفي غير رمضان كان على طالب النجاة اليوم أن يعلن في صراحة وحزم: **حملة المقاطعة**.

ب. وغُلِّقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب:

لأن نوازع الشر مدبرة، ورسل الشهوات مطرودة، وتجارة الشيطان بائرة، وهو يوسوس اليوم ولا يجد من يُصغي إليه، ويغوي ليجد الرد صداه في الأرجاء، فلو كُشف عنك الحجاب اليوم فاطّلعت على أبواب النار لوجدت حولها صحراء شاسعة لا يقف عندها أحد، ولوجدت الزحام كله عند أبواب الجنة الثمانية.

ج. وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب:

ها هي الجنة تزيّنت للناظرين.. فتّحت أبوابها .. ففاح عبيرها.. وحان قطافها.. دعت كل طائع وكل عاص، بل وكل فاجر وباغ.. لسان الحال: أقبل وإن تتابعت الذنوب.. أسرع وإن أثقلت الخطايا.. بادر وإن أرهقت الشهوات.. انهض وإن غلبت الملذات.. ابذل. فالبخيل كل البخل اليوم من بخل على نفسه بالجنة.

أبواب التوبة مفتوحة كي تقبلك.. أسباب المغفرة مُيسّرة كي يُغفر لك، وإذا كان العام كله جزرًا فهذا أوان المد، بل ما سمّي رمضان بهذا الاسم إلا لأن الذنوب تمرض فيه أي تحترق، ووالله ما فتح الله لك أبواب الجنة وهو يريد أن يحرمك منها، وما أغلق أبواب النار دونك وهو يريد أن يعذّبك فيها، وما صفّد الشياطين إلا لتُقبل عليه.. فانظر إليه كيف يعاملك وكيف تعامله!! كيف يطلبك وأنت تهرب منه!! كيف يدعوك إلى نجاتك وتتوانى!!

أخي! لو علمت بتزين الجنــة اليــوم لقدومك، ولو اطلعت على مقعدك هناك في الفردوس الأعلى، ولو سمعت الملائكة ينادونك: أهلاً وسهلاً، والحور تغنينك من قصائد الحب وأغاني الشوق ما هو أغلى: إذن لمت من شدة الفرح ولكنك أصم!!

أخي! ليس أحد مهما تكن حاله إلا وبينه وبين رمضان اليوم صلات وعلاقات، فالطائع يزداد قرباً، والعاصي يرتاح قلباً، والغافل من ذنبه يصحو، والظالم نار ظلمه تخبو، وقد يسبق العصاةُ الطائعين إذا تابوا وصدقوا، لأن الصدق اليوم يدرك السّبق بل قد يسبقه.

أخي! أجب منادي الإيمان يناديك من على جبل رمضان لتسمع الصدى في وادي الرّضوان:

يا طويل الغياب! أين شوق اللقاء؟!
يا رفيق الشقاء! حان وقت الهناء!!
الغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة،
فما عنها عوض ولا لها قيمة، من لم يربح الآن فمتى؟!
ومن لم ينل الرضا ساعة رضا مولاه فأنّى له الفلاح؟!

سرُّ مفعول الصوم

يشاركنا في الكشف عن هذا السر العالم الرباني ابن قيّم الجوزية فيُدلي إلينا بلذيذ عباراته وروائع استنتاجاته في إحدى فوائده ويقول:

"خُلق بدن آدم من الأرض وروحه من ملكوت السماء، وقُرِن بينهما، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة، وجدت روحه خفة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي خُلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي، وإذا أشبعه ونعّمه ونومه واشتغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلق منه، فانجذبت الروح معه، فصارت في السجن، فلولا أنها ألفت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خُلقت منه كما يستغيث المعذّب".

والآن مع الموجة المباركة التي قذفك بها بحر رمضان ليغمرك بما هو أغلى من اللؤلؤ والمرجان، واسم هذه الموجة:

٢- البشارة الخماسية:

روى البخاري أن النبي ﷺ قال: "**يقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم! إني صائم! والذي نفس محمد بيده .. لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرِح بصومه**" (صحيح). ويحوي هذا الحديث وحده خمس هدايا قيِّمة بين ثناياه:

- **الهدية الأولى: فإنه لي**

مع أن الأعمال كلها لله وهو الذي يجزي بها إلا أنه خصَّ الصيام هنا بالذكر، والسبب كما يقول القرطبي: "لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه إلا الله أضافه الله إلى نفسه".

فالصائم يكون وحده في المكان الخالي متمكنًا من تناول الطعام والشراب لكنه لا يفعل، خوفًا من عقاب الله وطمعًا في ثوابه، لذا يشكر الله صنيعه، ويختص صيامه لنفسه من بين سائر الأعمال.

ودرس آخر مستفاد من قوله: "**فإنه لي**" وهو أنه لا يعلم أحد حقيقة صومك إلا الله، وكم من ممتنع عن الأكل والشرب أمام الناس غير أنه عند الله غير صائم.

- **الهدية الثانية: وأنا أجزي به**

أي: أتولى إسداء ثوابه بنفسي تعظيمًا لجزائه. قال المناوي: "**وأنا أجزي به**": إشارة إلى عظَم الجزاء وكثرة الثواب، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يُعطي العطاء بلا واسطة اقتضى سرعة العطاء وشرفه".

ومعنى آخر لقوله: "**وأنا أجزي به**": أي أنفرد بمعرفة مقدار ثوابه ومضاعفة حسناته. قال القرطبي: "معناه أن الأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تُضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، إلا الصوم فإن الله يثيب عليه بلا حد ولا عدد"، ويشهد لقول القرطبي رواية مسلم: "**كل عمل ابن آدم له، يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**" (صحيح). وهذا مصداق قول ربنا:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠

والصابرون هم الصائمون في أكثر الأقوال.

واسمع إلى البشرى الرائعة التي تؤكِّد نفس المعنى والتي جاءت على لسان عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في قوله:

"أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه. فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبراً. قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش". (حسن)

ولأن أبا موسى رجل أفعال لا يكتفي بالأقوال، ولأنه يريد أن يكون الحديث الذي رواه حجة له لا عليه: كان يتوخّى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًا فيصومه!!

الهدية الثالثة: الصوم جُنّة

أي: ترس يدفع المعاصي عن الصائم في الدنيا، ويدفع النار عنه يوم القيامة، وفي الترمذي: "**والصوم جنّة من النار**" (صحيح). وذلك أن الشيطان يجري في عروق ابن آدم مجرى الدم، فإذا صام المرء ضاقت عروقه، فتضيق مسالك الشيطان وقلّت وساوسه، وبهذا يقبل الناس على الطاعات، فيكون الصوم لهم جنّة.

قال ابن العربي: إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فإذا كفّ نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك سترًا له من النار في الآخرة، ولذا أشار ابن عبد البر إلى أفضلية الصيام على غيره من العبادات فقال: "حسبك بكون الصيام جُنّة من النار فضلا".

حقيقة التقوى

التقوى هي أن يجعل العبد بينه وبين غضب الله وقاية وحجابًا: وذلك بلزوم طاعته واجتناب معاصيه، ومراد التقوى وهدفها النهائي: وقاية العبد وحمايته من النار التي لابد لكل واحد منا أن يرِدها حين يعبر فوق الصراط، لذا أوصى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً في وصية جامعة فقال: "أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة".

ومن آثارها الإيمانية: حساسيةٌ في الضمير، وخشيةٌ دائمة، وحذرٌ لا ينتهي، وتوقٍ لأشواك الطريق: طريقه الحياة الذي تتناثر فيه أشواكُ الرغبات والشهوات، وأشواكُ المخاوفه والهواجس، وأشواكُ الفتنه والموبقات.

والصيام من أهم الطرق المؤدية إلى التقوى. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣

ومن معاني ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾: تتقون المعاصي والذنوب، لأن امتلاء البطن بالطعام والشراب راس البواعث على الفحشاء والمنكر، ومعلوم أن الجائع العطشان لا يجد في نفسه من أثر الشهوات ما يجده الممتلئ، لذا قال إبراهيم بن أدهم: "الجوع يُرقّ القلب"، وجعل محمد بن الفضل البلخي تربية البطن أصل الزهد حين قال: "الدنيا بطنك!! فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا".

ومن معاني ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ : قول مصطفى صادق الرافعي أن معنى التقوى في الآية هو الاتقاء، وذلك أن الصائم قد صام ليتقي شر حيوانيته وحواسه، فقوله: إني صائم! إني صائم! معناه: إني غائب عن الفحش والجهل والشر، إني في نفسي لا في حيوانيتي.

ومن معاني ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ : تتقون الجهل بقدر نعمة الله عليكم، وذلك أن الناس في خضم النعم المغدقة عليهم ينسون نعمتي الطعام والشراب، بل ينسون الجوع والعطش ويغفلون عن شدتهما، وبالتالي يسقط شكر النعمة من حساباتهم، ففرض الله عليهم الصوم مدة يسيرة من الزمن ليتذكروا نعمة الله عليهم، ومن كرمه أن جعل من ذلك عبادة يؤجرون عليها، حتى إذا ردت إليهم هذه النعم عند الإفطار شكروها وأدوا حقّها، وانظر على سبيل المثال إلى ما كان يفعل الإمام أحمد بن حنبل عند كل وضوء ليُذكّر نفسه بإحدى نعم الله عليه فلا يضل ولا ينسى.

قال صالح بن أحمد بن حنبل: "كان أبي رحمه الله لا يدعُ أحداً يستقي له الماء للوضوء إلا هو، فكان إذا أخرج الدلو ممتلئًا قال: الحمد لله!! قلت: يا أبته.. أي شيء.. ما الفائدة؟! قال: يا بني.. أما سمعت الله عز وجل يقول:

﴿ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ الملك: ٣٠

حين تنتحر الهموم!!

قال ابن الجوزي:

"ضاق بي أمر أوجب غمًا لازمًا دائمًا، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقًا للخلاص، فعرضت لي هذه الآية:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق: ٢

فعلمتُ أن التقوى سببٌ للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدتُ المخرج".

فليتنافس المتنافسون

قال الإمام ابن قيّم الجوزية:

"التقوى ثلاث مراتب: أولها: حميّة القلب والجوارح عن الآثام والمحرّمات، والثانية: حميّتها عن المكروهات، والثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني، فالأولى تُعطي العبد حياته، والثانية تفيد صحته وقوته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته".

الهدية الرابعة: أطيب عند الله من ريح المسك

وهو على سبعة أقوال كل واحد أحلى من الآخر فتذوّق معي هذه الحلاوة حتى تشتاق لعبادة الصوم وتداوم عليها:

الأول: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم.

الثاني: أن الله يجزي الصائم بذلك في الآخرة، فتكون ريحه أطيب من ريح المسك .. كما يأتي الشهيد يوم القيامة وريح جرحه تفوح مسكًا.

الثالث: أن الصيام سرٌ بين العبد وربه في الدنيا، لذا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر الصائمون في الآخرة جزاء ما أخفوا صالح عملهم في الدنيا.

الرابع: أن الصائم ينال من الثواب في الآخرة ما هو أغلى من المسك في دنياكم.

الخامس: أن فضل الصيام بين العبادات كفضل المسك بين الأشياء.

السادس: أن الله تعالى يثيب الصائم على خلوف فمه أكثر مما يثيبه على استعماله المسك، حيث أثاب الله على استخدام المسك في الجُمع والأعياد.

السابع: أن الطيب هنا كناية عن القبول والرضا.

وعلى الإجمال فهذه العبارة من أعظم الثناء على الصائم والمدح

لفعله.

■ **الهدية الخامسة: وللصائم فرحتان يفرحهما:**

أ. **إذا أفطر فرح بفطره:** معناه فرح بزوال جوعه وعطشه وهذا فرح بشري، لكن هناك من تسامت روحه وعلت همته فلم يعد فرحه بفطره فحسب، بل فرحه الأكبر فرح سماوي: بشبع روحه لا بشبع بطنه، وبتمام صومه وختام عبادته وتخفيف ربه عليه ومعونته له بهذا الفطر على بره وذكره.

ب. **وإذا لقي ربه فرح بصومه:** أي بنيل الثواب وعلو المنزلة، وقبل أن تنفد جرعة الفرح المتولدة في قلبك من أثر الهدية السابقة، عاجلك رمضان بهدية أغلى وجائزة أحلى ألا وهي:

٣- جائزة كل ليلة:

قال ﷺ : **"إن لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة .. لكل عبد منهم دعوة مستجابة".** (صحيح)

فهل يا ترى أعتقهم دون عمل عملوه أو جهد بذلوه؟! والجواب: كلا والله، فافهم ما وراء الحديث من باعث حثيث وحثّ لطيف على أن تغتنم الفرصة قبل أن تضيع، وتبذل قصارى جهدك كل ليلة قبل أن يطلع عليك الصبح وأنت من المحرومين، وتسأل نفسك كل ليلة: هل أُعتقتُ الليلة أم ليس بعد؟! وهل نجوتُ أم لازلت في الهالكين؟!

واستمرارًا لعادة الكرم وخصلة الجود التي اشتهر بها رمضان عن غيره من الأشهر بعث إليك بالهدية الرابعة وعليها بطاقة مُوشّاة بالذهب مكتوبٌ عليها:

٤- موسم انزال الكتب:

قال ﷺ : **"أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلت من**

رمضان، وأُنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". (حسن)

والمراد من إنزال القرآن في تلك الليلة إنزاله إلى اللوح المحفوظ، فإنه نزل عليه فيها جملة، ثم أُنزل منه منجماً في نيف وعشرين سنة، وسره كما قال الفخر الرازي أنه لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الأفهام وتاهت فيه الأوهام.

سبحان من مدح شهر الصيام من بين الشهور، وأحبه وأدناه فاختاره من بينها لإنزال كتابه المبرور، بل اختصه كذلك بأنه الشهر الذي أنزل فيه كل الكتب الإلهية على أنبيائه ورسله، ليكون بمثابة عيد نحتفل فيه بهذه المناسبة الجليلة: أول اتصال الأرض بالسماء، وأول استقبال لبركات الوحي الإلهي، وأول هداية تتنزل على العالم البشري، فلا عجب إذن أن نحتفل اليوم بميلاد العالم السعيد ومطلع النور الجديد.

ولأن الهدايا اليوم لا تُقدّر بثمن، فقد استحقّت أن يتم الإعلان عنها على لسان أعظم الخلق أجمعين وأقربهم إلى مرضاة رب العالمين حيث أعلن الرسول ﷺ بنفسه عن:

٥- عمرة آخرها عيد:

قال ﷺ: **"عمرة في رمضان كحجة معي"**. (صحيح)

ومعنى قوله: **"كحجة معي"**: في ثوابها وجزائها، **"كحجة معي"**: في روحانيتها ومشاعرها حين تجد لها نفس المذاق الذي وجده من حج مع رسول الله، **"كحجة معي"**: في بركتها وأثرها في إحياء القلوب وتهذيب النفوس.

وما أبلغ هذا الأسلوب في بثّه الشوق في قلب كل مؤمن ليخوض التجربة بنفسه، ويذوق اللذة الغامرة والحلاوة التي لا توصف بالسفر إلى هناك.

ولأن من أغلى هدايا اليوم فتح صفحة بيضاء وطي صحائف مسودة، فيحق لك أن تهش وتبش لأنك استلمت في يدك هدية:

٦- العهد الجديد:

قال ﷺ : **"من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه".** (صحيح)

ومعنى **"إيمانًا"**: تصديقًا بفرضية الصوم وعظمة ثوابه ووافر حسناته، **"واحتسابًا"** أي طالبًا الأجر من الله يقينا بثوابه، وكيف لا يثق في من لا يظلم مثقال ذرة..

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

التوبة: ١٢٠

ومن الاحتساب أن تفعل ذلك طيبة بذلك نفسك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه، فيا باغي الخير أقبل! أقبل! ويا باغي الشر أقصر! أقصر! وا حرّ قلبي على من دعي إلى فتح صفحة جديدة مع مولاه فأعرض!! ونودي أن جاءت الفرصة السانحة للمغفرة بأيسر السبل فأدبر!!

صوم شهر يمحو ذنوب العام .. تعب أيام يلغي سيئات العمر..
صحو ساعة يورث سعادة الأبد ..
ألا ما أغلى الهدية ثم أنتم معرضون!!

ومن الهدايا الباهرة التي تُشعُّ ثوابًا وتقطر أجرًا والتي لم تكن تتوقعها أو تحلم بها يومًا من الأيام:

٧- منافسة شديدة والفوز عليه:

لئن بكى الصديق فرحًا باختيار الحبيب له لصحبته في الهجرة، فحريٌّ بنا أن تجري دموعنا فرحًا باختيار هذا الزائر الكريم لصحبتنا هذه الأيام.

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رجلين من بَليّ قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من

الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام بينما أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليّ فقال: ارجع فإنك لم يأذن لك بعد، فأصبح طلحة يُحدث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وحدثوه الحديث، فقال: **"من أي ذلك تعجبون؟"** فقالوا: يا رسول الله .. هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله ﷺ: **"أليس قد مكث هذا بعده سنة؟"** قالوا: بلى. قال: **"وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟"** قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ: **"فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض"**. (صحيح)

ومن الهدايا المبهجة المُرسلة إليك عبر رمضان: أخبار نجاحك في امتحان القبول في مدرسة الثلاثين يوماً والمسمَّاة:

٨- مدرسة الصبر:

شهر رمضان هو شهر الصبر، وأصل الصبر الحبس، وهو ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة، والثلاثة تجتمع في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله من صلاة وقرآن ومناجاة، وصبراً عما حرّم الله من الشهوات، وصبراً على ما يجد الصائم من ألم الجوع والعطش.

لذا كان رمضان جديراً بأن يُسمّى شهر الصبر لأن الصائم يصبر فيه ثلاثين يوماً على ذلك، فيكون بمثابة دورة تدريبية تعينه في مستقبله على أوامر الله بفعلها، وعلى نواهيه بتركها، وذلك سائر أيام حياته، فاغرس بذور الصبر هذا الشهر لتجني ثمرتها طوال العام.

ومن أعظم الصبر اليوم الصبر على محاولات الجهل عليك واستفزازك لتخرج من طاعتك ويفسد صومك، وفي الحديث: **"وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين"**. (صحيح)

قال الزركشي: "المراد بقوله **"فليقل، إني صائم مرتين"** يقوله مرة بقلبه ومرة بلسانه، فيستفيد بقوله بقلبه كفّ لسانه عن خصمه، وبقوله بلسانه كفّ خصمه عنه".

لسان حالك: ليس عندي وقت للخصام، وما عنـدي زمن لسيء الكلام، بل كل وقتي ذكر، وجميع كلماتي تسبيح.

والآن مع الهدية التي سيستمر أثرها معك بعد ذهاب الضيف، وستبقى ثمرتها بعد أن يغادر:

٩- بناء أسوار المراقبة:

أخي الصائم! اسأل نفسك: لماذا تحرص عند وضوئك وأثناء المضمضة على أن لا تتسلل إلى حلقك قطرة ماء واحدة؟ لم كل هذا الحرص مع أنه لا يطّلع عليك أحد، ولن يعلم بك أحد حتى لو تجرّعت جرعة ماء فكيف بقطرة؟

وأنت يا أختاه! تقفين في مطبخك من بعد صلاة الظهر إلى غروب الشمس أمام أشهى المأكولات وأبرد المشروبات، بل ربما ذقتها بطرف لسانك ثم لفظتيها بحركة سريعة كي لا تدخل جوفك مع أنك وحدك، فأي تهذيب هذا الذي أحدثه الصوم في النفوس؟ وأي تدريب عملي على استشعار المراقبة في كل الأوقات وعلى جميع الأحوال؟!

إنها بذرة إخلاص أهداها لنا رمضان فنمت واستوت على سوقها: مما جعل رب العزة سبحانه يفرح ويفاخر بعبده لأنه **"يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي"**. (صحيح)

وهذه المراقبة لا تصل إليها إلا من خلال تجريب وتدريب في أحوال مختلفة وأوقات شتى، فهي أشبه ما تكون بعضلات الجسم في أن نموها في استخدامها والاعتماد عليها، ولهذا زار رمضان.

وانظر إلى الذين يأتون الفضائل ويقومون بالواجبات من خلال قسر الأبوين أو تحت وطأة القانون أو ضغط المجتمع، فإذا خلوا بأنفسهم أو ضعف ذلك الضغط أو تلاشى أتوا من الرذائل

والمعاصي ما يستطيعون.

والآن مع هدية تضاعف البركة في الدنيا والدين مع ما يواجهها من إعراض الغافلين وإهمال الكثيرين الذين لا يدركون أنها:

١٠- مستودع البركة:

السحور عبادة جليلة يغفل عنها الكثيرون ويناءون عنها، مع أنها منبع الخير وسر النماء. قال رسول الله ﷺ: **"عليكم بهذا السحور؛ فإنه هو الغداء المبارك"** (صحيح). وحذّرنا النبي ﷺ من تضييعه فقال: **"إن السحور بركة أعطاكموها الله فلا تدعوها"**. (صحيح)

والبركة هي الزيادة والنماء وذلك بنزول الخير الإلهي في الشيء وثبوته فيه. فالبركة في المال زيادته وكثرته، وفي الدار سعتها وسكينتها، وفي الطعام وفرته ولذته، وفي الأولاد كثرتهم وحسن أخلاقهم، وفي الأسرة انسجامها وتفاهمها، وفي الوقت اتساعه وقضاء الحوائج فيه، وفي الصحة سلامتها وتمامها، وفي العمر طوله وحسن العمل فيه، وفي العلم الإحاطة والمعرفة، فالبركة إذن جماع لكلِ الخير وطريق موصل لكثرة النعم، فلا غرابة بعد ذلك أن نجدَ في طلب هذه البركة اليوم في شهر قال النبي ﷺ فيه: **"رمضان شهر مبارك"** (صحيح). وفيه ليلة وصفها ربنا بقوله:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان:٣

بل وعمَّت فيه البركة كل شيء لتشمل حتى الطعام.

معنى البركة في السحور

- **من البركة** فيه أنه يُعطي القوة على الصيام وغيره من الأعمال الصالحة أثناء النهار: فيجد المتسحّر في نفسه نشاطًا يبعثه على أداء الفرائض والنوافل في همة وعزم.
- **ومن البركة** فيه إدراك وقت السّحر وهو وقت التنزل الإلهي

والاستغفار المبارك.

• **ومن البركة** فيه أنه أضمن لترديد أذان الفجر مع المؤذن وإدراك الصلاة في وقتها مع الجماعة مع ما في ذلك من الفضل.

• **ومن البركة** فيه أن الصائم إذا تسحّر لا يشق عليه تكرار الصوم بل يشتاق إليه، خلافًا لمن لا يتسحّر: فإنه يجد مشقة تثقّل عليه العودة للصيام.

• **ومن البركة** فيه أنه يكفي فيه القليل ولو كان جرعة ماء. قال ﷺ: "**تسحّروا ولو بالمـاء**" (صحيح). وإن كان "**نعم السحور التمر**" (صحيح). فإن فعلتم ذلك وواظبتم عليه استحققتم صلاة الله عليكم وهي الرحمة، وصلاة ملائكته عليكم وهي دعاؤهم لكم بالرحمة، فكيف بعدها لا تُرحمون؟!

قال ﷺ : "**إن الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحِّرين**" (حسن). فإذا كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور ما هو إلا إعداد للصيام فما ظنك بالصيام نفسه؟!

أما وقت السحور فيدلنا عليه زيد بن ثابت الذي حدّث أنهم تسحّروا مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، فسأله سائل: كم بينهما يعني الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين أو ستين يعني آية (صحيح).

إخواني.. كلما غلت الهدية.. عظُمت الفجيعة بفقدها، وزادت الحسرة على فواتها، خاصة إذا كانت من نوع الهدية التالية:

١١- رواء من الريان:

قال ﷺ : "**إن في الجنة بابًا يُقال له: الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد**". (صحيح)

ولأن الصائم كابد الجــوع والعطش استحق أن يدخل من باب الريان حيث ينمحي الجوع والعطش، لأن الجزاء من جنس العمل،

ومجرّد ذكر اسم هذا الباب يبعث في القلب الراحــة، فكيف إذا دخل منه العبد إلى نعيم الجنة الأبدي ليــذهب معنى التعب إلى مجاهل النسيان إلى غير رجعة، واكتفى الحديث بذكر الري عن الشبع لدلالته عليه، أو لأن العطش أشق على الصائم من الجوع، وأكّد النبي ﷺ تفردهم بالدخول من هذا الباب ونيلهم لهذا الشرف دون غيرهم بقوله: **"لا يدخل منه أحد غيرهم"**.

ومن مفاجآت رمضان اليوم أن الله حرّرك فيه من كل القيود ووضع عنك إصرك والأغلال التي كانت عليك، لذا استحق أول يوم في هذا الشهر أن يُطلق عليه اسم:

١٢- يوم الاستقلال:

في غمرة الأحداث وكثرة مشاغل الحياة قد يفقد الإنسان الذاكرة، فينسى الغاية التي خلقه الله من أجلها، وبدلا من أن تكون نعم الله عليه من طعام وشراب دالة على الله تصبح صارفة عنه، وتُطلب لذاتها، وتُعبد من دونه، ويصبح العبد ويمسي ساجداً للدينار راكعًا للدرهم، ويجتذبه الشرف، وتستهويه الرئاسة، ويستعبده من يمدحه ولو بالباطل، ويُعادي من ينصحه ولو بالحق، فيأتي رمضان ليعيد الأمور إلى نصابها، ويردّ للنعمة دورها المنشود.

ومما يأسر الإنسان أيضًا عاداته، ومعلوم أن للعادات سلطانًا على النفوس وهيمنة على القلوب، وقد تستقر في النفس البشرية حتى تصبح طبيعة من طبائعها، لا يستطيع المرء التخلص منها ولا يقدر على مفارقتها، لكن رمضان مستشفى زماني فريد يجد كل مريض فيه دواءه، فطول مدة التغيير فيه والتي تستمر ثلاثين يومًا، وشمول هذا التغيير ليشمل أنشطة الحياة المتنوعة من مواعيد النوم والاستيقاظ مرورًا بأوقات الطعام والشراب إلى طرق شغل الأوقات: يُضاف إلى ذلك التشجيع الذي يحدثه عموم هذا التغيير ليشمل أفراد البيئة المحيطة بالإنسان: كل ذلك يساعد على الخروج من المألوف والفكاك من أسر العادات في

إطار حرب التحرير المعلنة من قبلك لإعلان الاستقلال!!

قال المناوي: "وإنما شُرع الصوم كسرًا لشهوات النفوس وقطعًا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء، فإنهم لو داموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء، وقطعتهم عن الله، والصوم يقطع أسباب التَّعبد لغيره، ويورث الحرية من الرِّق، لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا تملكه، لأنه خليفة الله في ملكه، فإذا ملكته فقد قلب الحكمة، وصيَّر الفاضل مفضولاً، والأعلى أسفل:

﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

الأعراف: ١٤٠

والهوى إله معبود، والصوم يورث قطع أسباب التعبد لغيره".

ومن هدايا رمضان كذلك تلك اللبنات التي أحضرها معه لبناء صرح مشيد وبناء عتيد في نفس كل مسلم ألا وهو:

١٣- بناء الإرادة:

لاشك أن صوم رمضان يشكّل صقلاً للإرادة النفسية، وقمعًا للشهوات الجسدية، ورياضة شاقة على هجر اللذائذ الحسية، وتربية عملية على تحمله المكروهات من جوع وعطش وحلم وأناة وعفة وعطاء ونطق بالحق وسكوت عن الباطل.

ومن بناء الصوم للإرادة قول الله سبحانه:

﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٤

في أعقاب ذكر الرخصة للمريض والمسافر بالفطر إشارة إلى أن الأفضل هو الصوم مع المرض والسفر المُتحمَّل غير الشاق، لتقوية إرادتك وبناء عزيمتك وتعويدك المعاناة في سبيل الله، وبذلك لا تُتَّخذ الرخص ذريعة للفرار من الواجبات والهروب من الفرائض، بل يكون الصوم صورة من صور الرجولة المستعلنة والإرادة المستعلية.

ومن بناء الصوم للإرادة كذلك كون "**أحب الصيام إلى الله**

صيام داود، **كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**" (صحيح). فهو أفضل من صوم الدهر لأنه أشق على النفس بمصادفة مألوفها يوماً ومفارقته يوماً.

قال الإمام الغزالي:

"وسره أن من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس وقعه في نفسه بالانكسار، وفي قلبه بالصفاء، وفي شهواته بالضعف، فإن النفس إنما تتأثر بما يرد عليها لا بما تمرّنت عليه، ألا ترى أن الأطباء نهوا عن اعتياد شرب الدواء وقالوا: من تعوده لم ينتفع به إذا مرض، لإلف مزاجه له فلا يتأثر به، وطب القلوب قريب من طب الأبدان".

الفرصة الذهبية

رمضان فرصة ذهبية لمن كان مفرّطاً في صلاته، فلا يصليها مطلقاً، أو يؤخّرها عن وقتها ، أو يتخلّف عن أدائها جماعة في المسجد، ليجد نفسه اليوم منجرفاً مع الجموع المدفوعة بسيل الإيمان ورصيد الفطرة إلى بيوت الله.

رمضان فرصة ذهبية لكل شاب أحب فتاة في الحرام ولكل فتاة كذلك، ليكون فرصة لتغيير المسار، والهروب من غضب الجبار، وتجنب التجرع من نفس الكأس ولو طال الزمان، فإن الزنا دين، وهتك الأعراض صفعة لابد أن تُرد على نفس الوجه يوماً من الأيام.

يا هاتكاً حُرَم الرجال وتابعاً ... طُرُق الفساد فأنت غير مُكرَّمِ
من يزن في قوم بألفي درهم ... في أهله يُزنى بربع الدرهم
إن الزنى دينٌ إذا استقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

وهي تجربة ابن المعتز الذي رأى في حياته من تجارب ومواقف ما جعله يهدد في صرامة وحزم: "من يهتك ستر غيره تكشف عورة بنيه".

وصدق الشاعر المؤمن حين أرشدك إلى العلاج قائلاً:

مــن نالــه داء الـهــوى بذنوبــه
فليــأت في رمضان بــاب طبيبه

فخلوف هذا الصوم يا قوم افهموا
أزكى من المسك الشـذي وطيبـه

أوليس هـذا القــول قول مليككم
الصوم لي وأنا الذي أجزي بـــه

رمضان فرصة ذهبية لكل من أوقعه الشيطان فريسةً لذنب أو أسيراً لعادة قبيحة أو خطيئة مرذولة، فيزوره رمضان اليوم ليلقي إليه بحبل النجاة ويدلّيه في بئر الخطيئة لينتشله، ودورك أيها المبتلى: المداومة على ترك المنكرات ما استطعت، والتشبث بالخيرات إلى حين حتى تلمح بصيص النور أعلى البئر، ثم تداوم على ذلك وتستمر، وعندها فحسب ييأس منك الشيطان وليس قبل، هذا إن أردتِ النجاة، وإلا ظللت في غيابت الجب دون أن يلتقطك أحد السيارة، وعندما تموت أخشى أن يتحقق فيك قول القائل: كم من متحسر تحت التراب!!

وهذه المداومة هي المفتاح الذي سبق وأرشدك إليه الحسن البصري ليفتح الله به عليك. قال رحمه الله:

إذا نظر إليك الشيطان فرآك مـداومًا على طاعة الله فبغاك وبغاك فرآك مداوما ملّك ورفضك، وإن كنت مـرة هكذا ومـرة هكذا: تتقدم خطوة وتتأخر خطوتين طمع فيك.

رمضان فرصة ذهبية لمن أصابته نزلة فتور ونوبة كسل بعد أن اعترته فورة نشاط وثورة عمل، فيا من كان له حال مع الله فانقلب .. يا من استزله الشيطان ببعض ما كسب .. يا من نسي ربه وهو يلهث وراء دنياه بحثا عن الذهب: قيام الليل يفتقدك، رياح السحر تبحث عنك، كتاب الله مشتاق، دموعك طال غيبتها.

أخي الغائب! إن كان قد اعتراك ضعفٌ بعد قوة، فاشكُ إلى الله ضعفك، فإن لطفه بالضعيف أكبر.

أخي! أبعد حلو الود والمواصلة تؤثر مُرَّ الهجر والمفاصلة؟! أما آن لك أن تذكر حالك القديم، وتبكي على ما فاتك منه، وتخاف من طول الهجر، وتهرب من هول القطيعة، وتتأهب لعقد الصلح معه قبل أن ينادى فيك بالرحيل، ويطلبك للمساءلة، فتجد نفسك خاشعا من الذل بين يديه.

ومن هداياك اليوم هدية مباركة ادخرها لك رمضان ليفاجئك بها قبل رحيله مباشرة لتكون أحلى هداياه وآخرها، وهي هدية تساوي عمرك كله إن لم تكن أفضل وأغلى فأعدَّ قلبك لتلقي مفاجأة:

١٤- ليلة العمر:

يكفي في فضلها قول النبي ﷺ : **"وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"**. (صحيح)

إن الرتابة الدائمة والسير على وتيرة واحدة في الحياة يبعث على السآمة والملل، لكن الإسلام العظيم أعطى الحياة طعمًا آخر ترمي به خلف ظهرها كل سآمة وملل، ففي الصلوات الخمس كسر لرتابة اليوم، وفي صلاة الجمعة كسر لرتابة الأسبوع، وفي شهر رمضان كسر لرتابة العام، وفي ليلة القدر كسر لرتابة ليالي الشهر، وفي كل محطة من هذه المحطات يجدد الإنسان إيمانه ويعيش حياة جديدة حين يقف على معانٍ يتذوقها لأول مرة: لتعيده إلى الصواب إن كان قد انحرف، وترفع همته إن كان قد وهن أو كسل.

ليلته المُفضَّلة!!

والله سبحانه وتعالى هو الذي بيده اختصاص التفاضل، فهو الذي فضّل بعض النبيين على بعض، وفضّل بعض الشهور على بعض، وفضّل بعض الأوقات على بعض، بل وفضل بعض الطعام على بعض..

﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ الرعد: ٤

ومن ذلك تفضيله لليلـــة القدر على سائر الليالي، وقد سُمّيت ليلة القدر بهذا الاسم لخطرها وشرفها على جميع الليـــالي، أو كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان: ٤

"يُكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر، حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان".

بل أغلى يا إمام!!

قال الإمام الرازي: "واعلم أن من أحياها فكأنما عبد الله تعالى نيّفا وثمانين سنة، ومن أحياها كل سنة فكأنما رُزق أعمارًا كثيرة".

لكن الأمـر أعظم مما قال إمامنـا وأغلى، وتأمّل قوله تعـالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان: ٤

ولم يقل: كألف شهر، إشارة إلى أنها خيـــرية مطلقة ليس للعدد فيها مفهوم، وكلما كان العبد أشـــد إخلاصًا لله وأكثر إقبالا عليه كانت مضـاعفة ثوابـه أعظم، ألا ما أعظم هذه الليلـة! ليلـــة من أنـــوارها كأنهـــا نهـار، ليلـــة هي أحلى حسنات الدهـر، وأطيب لحظـات العمر، نعم وأيم الله! وما أدراك ما ليلـة القدر: ليلةٌ تُفتّح فيهـا الأبـواب، ويقرب فيها من تـاب، ولا يُرد من طرق البـاب، بل يسمع منه الخطـاب، ويأتي على الفـور الجواب، فيُكتبُ له الليلة ما لا يدركه العقل من الثواب، فماذ أنتم فاعلون؟!

يا من ضاع عمره في لا شيء ..
استدرك ما فاتك الليلة فإنها تعدل العمر كله
بين يديك الجواهر والدرر، فلا تُضيّع عمرك في الطين والمدر

الدرس العظيم هنا: ليست العبرة بطول الأعمار بل بما تحويه من أعمال الأبرار، وليس المهم أن تمتد بك الحياة ولكن المهم أن تملأها بالخير، وربَّ لحظة واحدة من مجتهد خير من أيام

الحياة كلها من غافل بليد، فاقتنص كل لحظة اليوم ولا تفرّط في رأس مالك فإنه لا يعوّض.

تخصيص بعد تعميم!!

وقد كان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، لذا كان يوقظ أهله ليالي العشر رجاء أن يدركوها، وبل وحثّ على قيامها بأبلغ العبارات وأعظم الترغيب والتشويق في قوله:

"مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه". (صحيح)

مع أنه قال ﷺ في حديث آخر:

"من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". (صحيح)

وقد يُقال إن أحدهما يغني عن الآخر، فليلة القدر ليلة من ليالي رمضان، فلم هذا التخصيص بعد التعميم؟!

إذا عُرف السبب بطل العجب، والسبب يخبرنا به الإمام النووي وهو: "قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران وإن لم يقم غيرها".

سر الأسرار!!

ولم يحددها النبي ﷺ بليلة معيّنة بل قال:

"إني أُريت ليلة القدر ثم أنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر". (صحيح)

وقال في موضع آخر:

"ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين.. إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى". (حسن)

وقال في موضع ثالث:

"التمسوا ليلة القدر آخر ليلة من رمضان". (صحيح)

بل إن أبي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه عنه مسلم يقول: والله إني لأعلم أي ليلة هي: هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين، وكان أبي يحلف على ذلك ويقول: بالآية والعلامة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها، يعني بذلك قول النبي ﷺ :

"ليلة القدر ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء". (صحيح)

والذي يغفل عنه كثير من الناس أنه لا يلزم من تخلف العلامة عدمها، ورب قائم فيها ولم ير من علاماتها شيئًا، وهو أفضل عند الله وأكرم ممن رآها لكنه كسل ونام، ولا أرى أن يستغرق تحديدها منا كثير وقت وطول نقاش في شهر نحن أحوج ما نكون فيه إلى اغتنام كل لحظة، ذلك أن حكمة إخفائها أن من أرادها أحيا ليالي كثيرة طلبًا لموافقتها، فتكثر عبادته ولا يتكل على إصابة الفضل في ليلة واحدة فحسب، بل ينال ثواب ليالٍ كثيرة طلبًا لها، وتأمل قوله ﷺ مبيّنًا حكمة إخفائها في قوله:

"وعسى أن يكون خيرا لكم"

واقرأ معي هذا الحديث:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: **"خرجتُ لأخبركم بليلةِ القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة".**

(صحيح)

وفي الحديث درس آخر غاية في الأهمية وهو أن:

جدال رمضان علقم

وهذان الرجلان هما عبد الله بن أبي حدرد وكعب بن مالك رضي الله عنهما، وهذا دليل على أن الخصومة مذمومة، وأن الجدال سبب الحرمان، وأن المكان الذي يحضر فيه تُرفع منه البركة، وزاد من فداحة هذه الخصومة وقوعها في المسجد،

وهو محل الذكر لا اللغو، ثم حدوثها في شهر رمضان، ثم رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ وهو منهي عنه لقوله تعالى:

﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

الحجرات: ٢

ومن هنا أورد الإمام البخاري هذا الحديث تحت عنوان: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

ليلها كنهارها سواء

قال الإمام الشعبي في حق ليلة القدر: ليلها كنهارها، وقال الشافعي: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها.

وهي لفتة ذكية، فاغتنام هذه الليلة لا بد له من إعداد وتجهيز، ويستغرق ذلك أغلب ساعات النهار، حتى إذا ما بدأت الليلة لم يضع منها شيء، فالفضل اليوم لا يقدّر بثمن، وضياع الدقيقة خسارة فادحة، واللحظة الواحدة غالية غالية، ولن يعرف المفرّط فداحة خسارته إلا يوم القيامة ولات ينفع الندم، فتأسّف على كل ساعة من ساعات هذه الليلة فارغة من ذكر، وابكِ على كل لحظة فيها لا يؤنسك فيها مصحف أو دعاء.

أفضل أعمال الليلة

قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إليَّ من الصلاة.

ويشرح ابن رجب هذا فيرى أن المقصود من قول سفيان أن صلاة يكثر فيها الدعاء خيرٌ من صلاة يقل فيها، فأفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر: صلاة فيها قراءة متدبرة ودعاء خاشع.

أخي! تذكَّر:

إن فاتك زمن العطاء وضاعت منك فرص الثراء، فمدُّ اليد للسؤال بعد ذلك حيلة الحمقى.

تقديم طلبات العفو

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: "**قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني**". (صحيح). والعفُو اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه: المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها وإن عظمت.

وفي الحديث إشارة إلى أن شدة حياء العبد من ربه توجب عليه سؤال العفو لا الرضا، إذ الرضا لا يكون إلا للمتطهّرين من الذنوب، وأما من تلطّخ بالمعاصي فلا يليق به إلا سؤال العفو.

لكن لماذا سؤال العفو حتى بعد اجتهاد أيام العشر؟!

قال ابن رجب الحنبلي: "إنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المُذنب المُقصر"، ولذا يقول يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

يا ربِّ عبدك قد أتاك ... وقد أساء وقد هفا
يكفيه منك حياؤه ... من سوءِ ما قد أسلفا
وقد استجار بذيل عفـ ... ـوك من عقابك مُذ جفا
ربِ اعفُ عنه وعافِه ... فلأنت أولى من عفا

دعاء العفو أنجى

كان شيخ الإسلام أبوعثمان سعيد بن إسماعيل الحيري كثيرًا ما يقول في مجلسه وفي غير مجلسه، وفي رمضان وفي غير رمضان:

"عفوك يا عفُوّ عفوك، في المحيا عفوك، وفي الممات عفوك، وفي القبور عفوك، وعند النشور عفوك، وعند تطاير الصحف عفوك، وعند ممر الصراط عفوك، وعند الميزان عفوك، وفي جميع الأحوال عفوك يا عَفُوّ عفوك".

أحيا لأنه يحيى

كان يحيى بن معاذ يقول في مناجاته: إلهي ما أكرمك .. إن كانت الطاعات فأنت اليوم تبذلها وغدا تقبلها، وإن كانت الذنوب فأنت اليوم تسترها وغدا تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك وقبولك، ومن الذنوب بين سترك ومغفرتك.

وكان يقول: لقد رجوتُ ممن ألبسني بين الأحيـاء ثوب عافيته أن لا يعذبني بعد الممات وقد عرفت جود رأفته.

ويقول: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ولا أراك تمتنع بالذنب من العطاء؟!

ويقول: إني لأرجو أن يكون توحيدٌ لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر: لا يعجز عن محو ما بعده من ذنب.

ويقول: إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو، ولا تغيظه بشيء هو أنكى له من عفوك عنا، فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

لا شيءَ أعظمُ من ذنبـي سوى طمعـي
في حسن عفوك عن جُرمي وعـن زللي
إن كنتُ أسرفتُ حينا فاقبل توبتي كرمًا
وابدل بذنبي ثـواب الخـائف الوجـل

نقطة التحول

ليلة القدر ليلة تتمخّض عن ولادة جديدة لكل مسلم على وجه الأرض، فلا بد إذن أن تكون نقطة تحول في حياته لا مجرد لحظة عابرة، أو ليلة لها طقوس معيّنة من اجتماع الناس في المساجد وحضورهم لختمة التراويح، ثم لا يلبثون أن ينفضوا لتجد المسجد في الليلة التي تليها ساحة جرداء، يئن من الجفاء وقلة الوفاء ممن سبق وأن أغدق عليهم العطاء.

أغلى من ليلة القدر!!

قال ﷺ : "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود". (صحيح)

ومن فقه الرجل اليوم وهو يتعبّد في ليلة القدر أن يعلم مقياس تفاضل العبادات وتمايز القربات، فيقرأ هذا الحديث ثم يشعر بازدراء نفسه أنها ليست في صفوف المجاهدين اليوم ولا تلبس عدّة الحرب!! ثم يتبع هذا الازدراء بعمل ينوي نية لا يعلم صدقها إلا الله أنه سيبدأ المسير فور سماع النفير، ويقدّم دليل صدقه وشهادة إخلاصه وهو أن تسيطر على أحلامه منذ اليوم تفاصيل الموتة المطهّرة والمصرع الرائع المسمّى في عرفنا: شهادة.

ولعل أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه سمع هذا الحديث، فحرص على أن يخرج مجاهدًا حتى بعد أن جاوز التسعين من عمره، لينال شرف الجهاد هناك عند أسوار القسطنطينية، وندع المجال للسان فصيح يقص علينا الخبر، وليس أفصح من لسان علي القرني يقول:

جيش معاوية يقف على أسوار القسطنطينية وبين أفراد الجيش أبو أيوب الأنصاري وقد حلّ به مرض، فأتاه يزيد يعوده وقال: ما حاجتك أبا أيوب؟ قال: ادفني عند أسوار القسطنطينية، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: "**يدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح**"، وإني لأرجو الله أن أكون أنا هو.

ويأمر يزيد بتكفينه والقتال دائر، فيحمل على السرير على أعناق الجنود ويدفن حيث أراد عند الأسوار تحت سنابك الخيل، وينظر قيصرهم إلى سرير يحمل تحت ظلال السيوف، فيرسل رسولا إلى يزيد بن معاوية: ما هذا الذي أرى؟! قال يزيد: هذا صاحب رسول الله ﷺ، وقد سألنا أن نقدّمه في بلادك، ونحن والله الذي لا إله إلا هو منفّذون وصيته أو نهلك جميعًا ونلحق بالله. قال: عجبًا! أين دهاؤك وأين دهاء أبيك الذي ينسب له، يرسلك أبوك فتأتي بصاحب نبيك وتدفنه في بلادنا حتى إذا ما وليت أخرجناه للكلاب!! فردّ يزيد في عزة وكرامة: إنك كافر بالذي أكرمتُ هذا له، وإني والله ما أردت إيداعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم: والله الذي لا إله إلا هو .. من أكرمتُ صاحب رسول الله ﷺ له .. لئن بلغني أنه نُبش قبره أو مُثّل به لا تركت

بأرض الإسـلام نصـرانيًا إلا قتلته ولا كنيسـة إلا هدمتُهـا.

فقال القيصر عندها: لله أنت! أبوك كان أعلم بك، فوحق المسيح لأحرسنه بيدي إن لم أجد من يحرسه!!

جعل الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يُخطمُ

نساء يسبقن أزواجهن!!

وأنت يا أختاه .. لا تظني نفسك بعيدة عن هذا الميدان، معذورة بالقعود عن القتال، فأين قلبك الحي إذن؟! أين عزمك الفتي تجاه ما يحدث لذراري المسلمين؟! ألا تجاهدين عدونا ولو بالنية الصادقة؟! ألا تريدين أن تكوني ممن وصفهم ابن الجوزي بقوله: "ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم، ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون".

وما تكون هذه النيات اليوم إن لم تكن الغزو والشهادة!! ألا يسعفك عزمك ويدفعك إيمانك فتحدثك نفسك بالاقتداء بامرأة من سلفنا المبارك ألا وهي زوجة حبيب بن مسلمة الفهري، ألا فاسمعي خبرها لتذهلي وتطربي ثم من بعد ذلك تهتدي وتقتدي:

أمّر أميـر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حبيب بـن مسلمـة الفهري على جيش من المسلمين لتأديب الروم، وكانوا قد تحرشوا بالمسلمين، وكانت زوجة حبيب ضمن جنود هذا الجيش، وقبل أن تبدأ المعركة أخذ القائد يتفقد جيشه، وإذا بزوجته تسألـه: أين ألقاك إذا حمي الوطيس وماجت الصفوف؟!

فأجابها قائلاً: تجدينني في خيمة قائد الروم أو في الجنة!! وحمي القتال وطارت الرؤوس وسالت الدماء وقاتل الزوج ومن معه قتال الأبطال، ونصرهم الله على الروم، وعندها أسرع حبيب إلى خيمة قائد الروم ينتظر زوجته، وعندما وصل إلى باب الخيمة وجد عجبًا: وجد زوجته قد سبقته ودخلت خيمة قائد الروم قبله!!

أنت وشـــاة الراعــــي

قال الحسن البصري:

لا تكن شاة الراعي أعقل منك .. تزجرها الصيحة وتطردها الإشارة.

وأنت كم زجرتك آيات الله .. من النار تُخوّفك فلا تخاف!! وإلى الجنة تدعوك وكأنّ المُخاطَب غيرك!! ومن الله تُحذّرك فتتعرض لغضبه!!

يا أخي! الغنم - وهي التي لا عقل لها - تحذر من ذئب يفترسها فينهي حياتها، أما علمت يا معدوداً في أولي الألباب أن الشيطان هو ذئب الإنسان؟! أما تخشى أن يفترس الشيطان إيمانك وينهش قلبك فتدخل النار مع الداخلين؟!

أخي! الغنم تطيع راعيها لعلمها أنه يقودها إلى مرعى خصيب أو يزجرها عن واد سحيق، وأنت!! ألا تطيع ربك وهو إلى مراعي الجنة يدعوك وعن أوديـة النار يزجرك، ومن أجـل ذلك أرسل رسله إليك تترا، فإذا نسيت ذكّرتك آياته التي عليـك تُتلى، وإذا أعرضت رغّبك في الجنة وشوّقك لعلك ترضى!!

أخي! أتبيع الذهب بالخشب وتزعم أنك عاقل؟! أتعبد أعدى أعدائك بمحاربة أقرب أوليائك ثم تدّعي الفهم؟! أتترك جنة عرضها السماوات والأرض لأجل جيفة وتعد نفسك من الأذكياء؟! ويحك! الدنيا تهين من أكرمت ثم تحبها!! والأرض تأكل من أطعمت ثم تركن إليها!! أتمر عليك خير أيام الدنيا وأنت في الهوى قد شُدّ عليك الوثاق؟! والله لن يلتفت إليك أحد حين تعض يديك من الحسرة يوم التلاق!!

أخي! الراحة والجنة ضرتان فاختر إحدى الضرتين، الرجولة همة لا صورة فكن رجلا، مراكب الأبرار سبقتك إلى جوار المختار، وأنت واقف على الساحل محتار؟

﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾

ويحك ألا تغار!!

أخي! المهر اليوم يسير، يكفيك فيه وقفة تتزود خلالها، ثم نهضة تنطلق بعدها، وسرعان ما تصل لتجد الأفراح تنتظرك والنعيم يستقبلك والحور تستبطئك والكل مشتاق إلى خدمتك!!

الحديث لك يا معرض .. أنت المراد يا غافل .. أخبرني .. ألك عمر غير هذا العمر؟! أتملك غير هذه الأيام؟! والله لا حيلة لوعظي طالما أغلقت في وجهي الباب، ولا عذر لك اليوم لأنك وحدك صاحب القرار، ومصيرك الآن بيدك، وهذا الشهر هو أنسب شهور التوبة، وهذه الأيام أرجى أيام القبول، وأمامك أسهل فرصة لاتخاذ قرار الرجوع، فإن أبيت إلا الإصرار على رفقة السوء لقتل الأوقات، وإبهاج شيطانك بالنوم على الأفلام والشاشات، وتحطيم ما تبقى من فطرتك بالتسكع في المقاهي والطرقات، فحسبي أني أهديتُ لك الهداية على طبق من ذهب، ثم تخيَّرتُ لنشرها أفضل الأوقات، وأنت الوحيد الذي تأبى النجاة!!

منعوك من نيل المودّة والصفا
لما رأوك على الخيانة والجفـا

إن أنت أرسلـت الدموع تندُّمـا
جـادوا عليك تكرُّمـا وتعطُّفـا

حاشـاهمُ أن يظلموك وإنـمـا
جعلوا الوفا منهم لأرباب الوفا

من الطارق

من الطارق

الفصل الثاني

كرم الضيافة



من المشهور عن العـــرب حسن ضيـــافتهم وكرم عشرتهم: كان الرجل منهم ينحر شاته وليس عنده غيرها ليُكرم ضيفه، ويسهر عليه ليستريح، ويحرسه طوال الليل لينام، فإذا طلع الصبح غادر الضيف إلى مقصـده، وهنـــاك يثني على من أكرمه ويمـدح من أضافه، ورمضان ضيف وأنت من العرب والمقصد: الله!!

ولأنك تطيع أمـر ربك وتسـارع في تنفيذه وهو الذي يقول:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ النساء: ٨٦

لذا رددت التحية بمثلها بل وبأحسن منها، وكان أول ردٍّ عملي منـك على هدايا رمضان اليوم ما لا يُكلفك مالاً ولا متاعاً، بل ليس إلا حلاوة اللسـان وطيب المنطق، فتتفوه بكلمـات هي أغلى من الذهـب، وأرق من الحريـر، وأعذب من الماء، لتستقبل بها ضيفك الغالي من على باب الدار، وتقدم له هذه الهدية الغالية.. هدية:

١- القـــرآن:

الكيِّس الفطن من المسلمين اليوم هو من جعل النصيب الأوفى للعبادات من نَصيب القرآن لأنه شهر القرآن، وما كان نزول جبريل على نبينا ﷺ يراجعه القرآن في رمضـان إلا تذكيـراً عملياً بهذه المناسبة، وتأكيــداً على صلة هذا الشهر العظيـم بكتـاب ربنـــا الكريـم، وسأذكِّرك يا أخي هنـا بأمرين احرص على أن تقدمهما لرمضان ضيافةً وكرمـاً أثنـاء زيارته لك ألا وهمـا:

•• أولا: كثرة التلاوة

- كان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.
- وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على القرآن.
- وكان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

أخي! حذار أن يكون حالك عند ذكر هؤلاء إجلالاً ووقارًا، وعند شرح جدهم إعجابًا وانبهارًا، وعند التفكر في طيب عيشهم في الجنة أشواقًا واعتبارًا، أما عند الدعوة إلى سلوك طريقهم فالنكوص وقائمة الأعذار!!

يا لائمي في حبه

من ذا يلومهم؟! وهم يسمعون قول نبيهم ﷺ : **"من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها"**. (صحيح)

والقرآن ثلاثمائة ألف حرف تقريبًا، أي أن الختمة الواحدة تهب صاحبها ثلاث ملايين حسنة!! وفضل الله أوسع وأعظم ولسنا نقصد أن نعده أو نحصيه، لكنا هدفنا أن نرغب فيه ونشوق إليه، أما إذا ضوعفت الحسنة إلى سبعمائة ضعف، فمن الذي يطيق لذا حصرًا أو عددًا؟! وهل سمعتم عن تاجر يقعد عن تجارة رائجة، أو يزهد في أرباح سهلة وافرة؟!

وقد يقول قائل: لكن النبي ﷺ نهى أن يُختم القرآن في أقل من ثلاث، فيأتيك ابن رجب بالرد قائلاً:

"إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان والأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا لفضيلة الزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة".

وأخشى ما أخشاه أن يهجر عبد القرآن، فيغضب الله منه وينتقم بأن يختم على قلبه، بل ويغزوه الوباء والمرض، فيصبح إلى الشياطين أحب وإلى المنافقين أقرب، مصداق قول أوس بن عبد الله:

"نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن".

الأغاني تنسحب

حتى عاشقي الغنـــاء اليوم لديهم فرصة سانحـة للتخلص من

آثاره وإدمانه، وذلك أنهم يقرؤون القرآن فتسري آياته نـورًا إلى قلوبهم لتطرد مزمار الشيطان وألحان العصيان، لأنهما ضـدان لا يجتمعان، وإن اجتمعا فلابد لأحدهما أن يطرد الآخر.

ولدى هؤلاء قدوة يرشدهم إلى الدواء إن كان قد أعياهم هجر ما اعتادوا عليه، وهو نابغة بني شيبان الذي كانٍ إذا أسـرف في إنشاد الشعر قبض على لسانه، ثم قال: "لأسلطنّ عليك اليوم ما يسوؤك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر".

وإليك البشارة إن فعلت في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: أخذ النبي ﷺ غُصنًا فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، فقال: **"إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ينفضن الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها"**. (حسن)

ثانيا: لذة التدبر:

المذمومون!!

جعل نبينا ﷺ من أوصـاف الخوارج المـارقين من الدين أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، والمعنى أنهم لا يفقهون معناه ولا يعرفون مقاصده. قال النووي: المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم، لا يصل إلى حلوقهم، فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم، لأن المطلوب فهمه وتدبره بوقوعه في القلب.

مشروع ترميم

أخي! وقّع معي هذا العقد، واشترك في هذا المشروع، وجرِّب اليوم هذه الوصفة، فإن من جربها ذاق حلاوة القرآن، ومن ذاق حلاوة القرآن استحلى التهجد واستعذب السهر.

وبنود هذا المشروع خمسة وهي:

دعوة للفهم:

كثير من الناس يختم القرآن في رمضان، لكن كم تمر علينا الآيات دون أن نفهم معناها أو الهدف منها، فما رأيك أن تجعل

تلاوتك هذا العام ذا مذاق خاص ومن نوع مختلف، وذلك بمزيد فهم لكل ما استعصى عليك فهمه من الآيات، وعندها فقط يصدق فيك قول الشاعر:

منع القـــرآن بوعده ووعيـده مـقـــل العيـــون بليلها لاتهجع

فهموا عن الملك العظيم كلامه فهمًا تذل له الرقــاب وتخضع

إنها ليست وصيتي أنا بل وصية العالم المجاهد عبد الله بن المبارك حين جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي: في تعلّم القرآن أو في طلب العلم ؟! فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي يُعرِف به القرآن.

حسّن صوتك:

لقول النبي ﷺ : **"ليس منا من لم يتغن بالقرآن"**. (صحيح)

قال المناوي: " يعني لم يُحَسِّن صوته به، لأن التطريب به أوقع في النفوس، وأدعى للاستماع والإصغاء، وهي كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء، وكالتوابل التي يطيب بها الطعام، ليكون الطبع أدعى قبولاً له، لكن شرطه أن لا يُغيِّر اللفظ، ولا يُخلّ بالنظم، ولا يُخفي حرفًا، ولا يزيد حرفًا، وإلا حَرُم إجماعًا".

الخلوة أفضل:

قال تعالى:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ المزمل: ٦

ومعنى ﴿ أَشَدُّ وَطْـًٔا ﴾ : أكثر موافقة، ومنه قوله تعالى:

﴿ لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٣٧

أي ليُوافقُوا، فالمعنى أشدّ موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان.. لانقطاع الأصوات والحركات بالليل.

ومعنى ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ : قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : "هو أجدر

أن يفقه في القرآن". (حسن)

ولذا كانت مراجعة جبريل للقرآن مع النبي ﷺ تتم ليلاً. قال ابن حجر: "لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية".

وسر آخر في روعة الليل وأنواره ألا وهو بركة الاختيار الإلهي، وقد باح لنا بهذا السر صاحب الظلال حين قال:

"والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤا، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه".

كرر الدواء:

عن جسرة بنت دجاجة قالت: سمعت أبا ذر يقول: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

المائدة: ١١٨

وبتكرارك الآية الواحدة كأنك تدق باب كل آية تلتمس الهدى والنور والخير والبركات، فإذا فُتح لك باب أي ذقت حلاوة أي آية، فإياك أن تغادره إلى غيره، بل الزم العَتَبة وردد هذه الآية مرة بعد مرة، وعندها فقط تنال اللذة وتذوق الثمرة وتنهال عليك الفتوح والفيوضات.

هي خلاصة خبرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس (فاسمعها واعمل بها واستقبلها استقبال من ينشد ضالة منذ زمن ولم يجدها إلا هذه الأيام.

عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة .. إني أقرأ القرآن في ثلاث. قال: لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن اقرأ القرآن كما تقرأ.

والتكرار سيؤدي حتماً إلى العمل، لأنه تكرارٌ للأمر والنهي، وتذكير من بعد تذكير.

أنت المخاطب:

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : "إذا سمعت الله جل وعلا في كتابه يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾

فأرعها سمعك وأعطها أذنك فهي إما خير تؤمر به أو شر تنهى عنه".

لم يكن عبدالله بن مسعود يقدِّم لنا نصيحة بقدر ما كان يعبِّر عن واقع يحياه الصحابة وأحداث يومية يعيشونها، ونضرب لهذا مثلين اثنين على سبيل المثال لا الحصر:

أ- لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾

البقرة: ٢٨٤

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، وعندها قال رسول الله ﷺ : **"أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"**، فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

البقرة: ٢٨٥-٢٨٦

ب- في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الله جل وعلا لما أنزل قوله سبحانه وتعالى على رسوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الأنعام: ٨٢

شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ : **"ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:**

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣

ولقد عبَّر سيد قطب عن علاقة هذا الجيل الفريد بالقرآن فقال:

"ولقد عاش الذين أُنزل القرآن لهم أول مرة فترة عجيبة في كنف السماء، موصولين مباشرة بالله: يطلعهم أولاً بأول على ما في نفوسهم: ويُشعرهم أولاً بأول بأن عينه عليهم، ويحسبون هم حساب هذه الرقابة، وحساب هذه الرعاية، في كل حركة وكل هاجسة تخطر في ضمائرهم؛ ويلجأون إليه أول ما يلجأون، واثقين أنه قريب مجيب".

الوريث الشرعي

ورث الفضيل بن عياض هذه الخصلة المباركة عن الصحابة، واسمع إلى شاهد الإثبات يحيى بن أيوب وهو يحكي شهادته:

دخلتُ مع زافر بن سليمان على الفضيل بن عياض بالكوفة، فإذا الفضيل وشيخ معه، فدخل زافر وأقعدني على الباب. قال زافر: فجعل الفضيل ينظر إلي، ثم قال: يا أبا سليمان.. هؤلاء أصحاب الحديث ليس شيء أحب إليهم من قرب الإسناد.. ألا أخبرك بإسناد لا شك فيه: رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى:

﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم: ٦

قرأ الآية، فأنا وأنت يا أبا سليمان من الناس. قال: ثم غُشيَ عليه وعلى الشيخ.

والآن.. حان وقت العمل، وحذارِ أن تكون اليوم فارغًا فتجد الميزان فارغًا يوم الحساب، بل امـلأ ما وسعك جهدك لتجد، وازرع ما حييت لتجني، وأمامك ثلاثة أسطر أخرى فاذهب فيها إلى أقرب تفسير، واختر سورة محببة إلى قلبك، ثم اقرأ معانيها جيدًا: ناويًا أن تقوم بها ليلتك، متناولاً الوصفة الخماسية: فاهمًا، ومجودًا، وخاليًا، ومكررًا، وشاعرًا أن السورة تخاطبك أنت وليس إلا أنت، وبعدها فحسب تكون قد عرفت الطريق إلى واحة طالما كان يأوي إليها الحبيب من شدة التعب ليستريح: وآن لك اليوم أيضًا أن تستريح وتأوي إلى واحة **"أرحنا بها يا بلال"**.

....

....

....

والآن مع الهدية الثانية التي تُثبِت بها كرمك، وتنفي بها صفة البخل عنك، ألا وهي هدية:

٢- قيام الليل:

مقارنة!!

- كان ﷺ لا يدَع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا، فما حالك أنت أيها الصحيح السليم؟!
- كان ﷺ إذا فاته ورده من الليل لانشغاله بأعباء الدعوة والجهاد قضاه نهارًا، فما أخبارك يا من تشكو الفراغ والملل؟!
- كان ﷺ إذا سمع الديك يؤذِّن وَثَبَ إلى محرابه وهو سيد العابدين، فكيف بمحترفي الذنوب والغافلين؟!
- كان ﷺ يوصي أصحابه بقيام الليل وقد شهد لهم أنهم خير القرون فيقومون، فكيف بآخر القرون وفيهم المكبَّلون بالشهوات الغارقون في الغفلات وينامون؟!

نداء الملائكة!!

قال ثابت البناني: الصلاة خدمة الله في الأرض، لو علم الله

شيئًا أفضل من الصلاة لما قال:

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ آل عمران: ٣٩

وإذا كان هذا في شأن الصلاة عمومًا فهو كذلك في صلاة الليل التي قال فيها رسول الله ﷺ : **"أفضل الصلاة بعد المكتوبة، الصلاة في جوف الليل"** (صحيح). وسر أفضليتها ما أخبر به ﷺ: **"أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن".** (صحيح)

اصطحاب الأهل مطلوب

- صحّ عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليًا ليلاً فيقول لهما: **"ألا تصليان؟!"**.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة .. الصلاة، ويتلو هذه الآية:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٢

- وكان عبد الواحد بن يزيد يوقظ أهله كل ليلة ويقول: يا أهل الدار انتبهوا، فما هذه دار نوم، عن قريب يأكلكم الدود!!

- وكانت امرأة حبيب أبي محمد توقظه بالليل وتقول: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا ونحن قد بقينا.

وبذلك يتحول القيام إلى لغة واحدة يتخاطب بها المؤمنون، وعزفًا واحدًا عليه يلتقون، ولحنًا خالدًا لكل أفراد العائلة به يطربون، وإلا فمازالت ملاحظة ابن القيم في زمانه سارية المفعول في زماننا حيث قال رحمه الله:

"وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله،

وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يُكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه: ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قِبَل الآباء".

إلى من نسي القرآن

يا من سبق له أن حفظ جزءاً من كتاب الله ثم ضيّعه .. لديك اليوم فرصة ثمينة لتسترد ما تفلّت منك، وتستعين على ذلك بقيام الليل، كما سبق وأوصاك النبي ﷺ في وصية أغلى من الذهب قائلاً:

"إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وان لم يقم به نسيه". (صحيح)

والآن مع أسطر العمل، فلا تغادر الأسطر الثلاثة المقبلة قبل أن تعرف وجهتك وتحدد هدفك، وهدفك لا وصول إليه دون تحديد ثلاثة أشياء رئيسَة: القدر الذي ستراجعه من القرآن كل يوم، والوقت الذي ستراجع فيه، ووقت القيام.

....

....

....

هل انتهيت أم لا؟ إذا لم تنفّذ الوصية فوراً فسيستدرجك الشيطان لتنسى، وستترك كتابي في خزانة الكتب وأنت عنه تلهى، وأخشى أن تنشغل بدنياك فلا تواتيك الفرصة مرة أخرى لتقرأ هذه الكلمات فتنعدم الذكرى، وفي المقابل أؤكد لك أنك إذا نفذت الوصية فستفاجأ آخر الشهر بإنجاز لم يكن يخطر على البال، وذلك بسبب البركة الثنائية المضاعفة: بركة القرآن وبركة القيام، وسيحفّزك ذلك ولاشك على الاستمرار في المراجعة بعد رمضان إن لم يكن مضافاً إليها جديد الحفظ: بعد أن كسرت حاجز البدء وذقت لذة القرب وعرفت طعم مناجاة الحبيب بأعذب كلامه.

أجب زوجتك!!

قال أحمد بن أبي الحوارى: سمعتُ أبا سليمان الداراني يقول: "بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بها -يعني الحور- قد ركضتني برجلها، فقالت: حبيبي! أترقد عيناك والملك يقظان، ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم، بؤسًا لعين آثرت لذة نوم على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضًا، فما هذا الرقاد يا حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أُرَبَّى لك في الخدر منذ كذا وكذا، فوثبتُ فزعًا، وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي إلى الآن!!".

وهجر الفراش خاصة مع شدة التعب شاق ولا ريب، لكن لا عجب، فلابد مع غلو السلعة من غلو الثمن، وقد سبق في الكتاب أنه لا يقوى على دفع الثمن مستريح البدن.

الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة

قال ﷺ : **"إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِب له قيام ليلة"**. (صحيح)

قيام ليلة واحدة مع الإمام تعدل قيام الليل كله، وهذا غيض من فيض الخيرات في رمضان، والله إن السجلات ملأى بالذنوب والسيئات، أفلا نغسلها بقيام ليلة واحدة!! إن أنهارًا من المغفرة تجري أمامك، فهلاَّ انغمست فيها حتى تطهرك، وتمحو عنك صحائف طالما سودتَها، وتُكفِّر ذنوبًا طالما حالت بينك وبين القبول.

يا طويل النوم ...

كان عبد العزيز بن أبي رواد يُفرَش له الفراش فيضع يده عليه ويقول: ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك، ثم يقوم إلى صلاته فلا يزال يصلي حتى الفجر.

أخي! هل تعلم لم فعل ذلك!؟ أنا أخبرك: لأنه خاف أن يفوته

شرف:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ السجدة: ١٦

ومدح:

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الذاريات: ١٨

فيأتي يوم القيامة فلا يجد جائزة:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٧

أيكم صاح في الغافلين؟!

عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: كنا نغزو مع عطاء بن ميسرة الخراساني فكان يحيي الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا: يا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان ويا فلان قوموا وتوضئوا وصلوا، فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد.. الوحا الوحا.. النجا النجا، ثم يقبل على صلاته.

فأيكم وريث عطاء بن ميسرة؟! ومن منكم سيستيقظ الليلة ليوقظ جيرانه وأحباءه وأهله وأقرباءه؟! فإن كان فيهم معرض ألحّ عليه ورغّبه، وإن كان فيهم كسول مرّ عليه واصطحبه معه، واضعًا في ذهنه أنه نال الثواب وإن لم يستجب له أحد .. حاز الأجر وإن نام من دعاهم حتى الفجر.

والآن إلى ثلاثة أسطر أخرى فارغة: أقصد .. ممتلئة .. تفيض بالعمل وتزخر بالأمل، لتأتي فيها بورقة بيضاء: وتكتب أسماء ثلاثة من أصحابك أو جيرانك ستتفق معهم على إيقاظهم لصلاة القيام، وترغّبهم فيها وتحببها إليهم، وتذكّرهم بفضلها وثوابها، وتستعين في ذلك بالله فاتح القلوب وشارح الصدور: فتدعوهم

بالنهار وتدعو لهم بالليل مع النهار.

....

....

....

٣- الصدقة

كان رسول الله ﷺ أجود الناس: كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان، وذكروا في مضاعفة جوده في رمضان فوائد وأسبابًا كثيرة:

- منها شرف الزمان ومضاعفة الأجر فيه.
- ومنها إعانة الصائمين والقائمين على طاعاتهم، فينال من أعانهم مثل أجرهم.
- ومنها أن الجزاء من جنس العمل، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.
- ومنها أن الصائم لا بد أن يقع منه خلل ونقص، والصدقة تجبر ما فيه من الخلل والنقص، ولذا مثلاً شُرِعت صدقة الفطر.
- ومنها أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا بذله لغيره عند الإفطار كان ممن أطعم الطعام على حبه، لينال بذلك ثواب الإيثار.

أشكال وألوان

وللصدقة صور كثيرة:

١- إطعام الطعام:

قال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨

لذا كان السلف الصالح يحـرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبـادات، يسوقهم إلى ذلك خوف من أن تصيبهم دعوة نبيهم: **"لا خير في من لا يضيف"**. (صحيح)

ويكفينا في ذلك أننا نقتدي بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام المكنى أبا الضيفان لأنه كان يذهب إلى الضيف فيأتي به إلى منزله. قال مجاهد في قوله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات: ٢٤

إنما كانوا مكرمين لأن الخليل إبراهيم خدمهم بنفسه!! فهل لك في الاقتداء بخليل الرحمن فتخدم ضيفك اليوم بنفسك؟!

ومن أعلى درجات إكرام الضيف إطعام الطعام ولو كنت لا تملك غيره. جاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه الإمام رغيفين كان يعدهما لفطوره ثم بات جائعاً وأصبح صائماً، وهذا أحد الصالحين يشتهي طعاماً وكان صائماً، فوضع بين يديه عنده فطوره، فسمع سائلاً يقول: من يقرض الوفي الغني؟! فرد عليه وقال: عبده الفقير من الحسنات، فقام فأخذ الصفحة فخرج بها إليه وبات ولم يدخل جوفه شيء.

أخي! إذا أعجبتك وجبة طعام اليوم فقدمها للفقير، فإن لم تفعل فقدم منها للفقير، وستجد طعمها في الجنة لكنه أشهى، أما ما بخلت به وأكلت فمآله بيت الخلاء بعد ساعة!!

قانون البركة

نصّ عليه النبي ﷺ في قوله: **"طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية".**

(صحيح)

قال ابن الأثير: يعني شبع الواحد قوت الاثنين، وشبع الاثنين قوت الأربعة، وشبع الأربعة قوت الثمانية، ومنه قول عمر بن الخطاب عام الرمادة: لقد هممت أن أنزل على أهل كل بيت مثل عددهم، فإن الرجل لا يهلك على نصف بطنه.

وهذه البركة في الطعام مصدرها قوة إيمانٍ بموعود الله دفعت صاحبها إلى الإيثار وبذل الطعام على حبه والرضا بنصف بطن في سبيل الغير، فيكافئ الله صاحبها بقوة دين وحسن خلق.

قال عبدالواحد بن زيد: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قدر على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قِبل بطنه فذاك رجل في العابدين أعمى.

لو لم أكن لتمنّيت!!

قال ﷺ : **"إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم".** (صحيح)

ومعنى أرملوا: قارب زادهم على النفاد، ووصلت أيدي الآخذين إلى الرمل الذي يكون أسفل الزاد، ولو لم ينل الأشعريون غير هذا المدح طوال حياتهم لكفاهم، ولعل هذا المدح سببه أن عبادة إطعام الطعام عبادة ولّادة ينشأ عنها فضائل كثيرة منها: الحب في الله، ومجالسة الصالحين، وتوثيق التعارف، ورفع الكلفة بين الإخوان، وإعانتهم بهذا الطعام على طاعة الله.

المدينة الفاضلة

قال رسول ﷺ :

"ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به". (صحيح)

ولا يوجد مسلم على وجه الأرض ليس له جيران محتاجون وكثير منهم يبيتون جياعا، وذكر بعض العلماء أن كل من سمع النداء فهو جار، وقال الحسن حين سئل عن الجار: أربعين دارا أمامه وأربعين خلفه وأربعين عن يمينه وأربعين عن يساره، ولذا كان عبد الله بن أبي بكرة ينفق على جيرانه أربعين جارًا من كل جانب، ويفطر على الكسرة.

بل يصلنا تحذير نبوي مخيف نقله إلينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

"كم من جار متُعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب.. هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه". (حسن لغيره)

والجار قد يكون قريبًا وقد يكون بعيدًا، وكلما كانت دار الجار أقرب كان أهلها أكثر استحقاقا لإحسانه، وتصور معي لو أن كل مسلم وأسرته اقتدوا بابن أبي بكرة، واجتهدوا في الإحسان لا أقول إلى أربعين دارًا من كل ناحية من حولهم بل إلى ثلاث دور فحسب، وليس شرطًا أن يكون هذا الإحسان: الإحسان المادي بل يدخل فيه الإحسان المعنوي، أليس هذا هو وصف المدينة الفاضلة التي تخيّلها الفلاسفة في أحلامهم وما دروا أنها في إسلامنا؟

حكمة الصوم من أمير

قال أحمد شوقي عن الصوم:

"حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، ظاهره المشقة وباطنه الرحمة.. يستثير الشفقة ويحض على الصدقة.. يكسر الكبر.. ويعلم الصبر.. حتى إذا جاع من تعوّد الشبع، وحرم المُترف ألوان المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".

وذلك لأن لسان الأحوال أشد فصاحة من لسان الأقوال، فلو أن فقيرًا كابد الجوع ثلاثة أيام لم يدخل جوفه فيها شيء، ثم وقف بعدها ثلاثا مثلها يصوّر للأغنياء ما صنعه الجوع به، وكان حاله أبلغ في التعبير من مقاله لما بلغ تأثيره فيهم معشار ما تبلغه جوعة واحدة في نفس غنيٍّ مترف منهم.

لا تجرّب مع الله

والتجربة العملية تثبت أن المعونة تأتي من الله على قدر البذل من العبد، وأن رزق العبد يأتيه على قدر صدقته: فمن زاد زاد الله له، ومن أمسك أمسك الله عليه، واسمع قصة عائشة رضي الله عنها حين جاءها مسكين فسألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطيه إياه! قالت: ففعلت. قالت: فما

أمسينا حتى أهدى لنا أهل بيت أو إنسان - ما كان يُهدي لنا - شاة وكفَّنها أي غطاها بأرغفة، فدعتني فقالت: كلي من هذا.. هذا خير من قرصك!!

رحم الله أم المؤمنين عائشة وهي تقول لنا بلسان الحال: اطلبوا الرزق بالصدقة، وإن كانت هذه هي مكافأة الله لها في الدنيا، فالآخرة خير وأبقى، فكل ما خطر ببالك فالجنة فوق ذلك وأعلى من ذلك وأجلّ من ذلك.

لا تحقرن صنيع الخير تفعله
ولا صغير فعال الشر من صغره
فلو رأيت الذي استصغرت من حسن
عند الثواب أطلت العجب من كبره

٢- ضم أضعاف عمرك!!

قال ﷺ: **"من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا"**. (صحيح). وبهذا الحديث وغيره استدل من فضَّل الغني الشاكر على الفقير الصابر.

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام مرغِّبًا لك في الثواب ومشجِّعا على بذل المال:

"فمن فطَّر ستة وثلاثين صائمًا في كل سنة: فكأنما صام الدهر، ومن كثَّر بفطر الصائمين على هذه النية: كتب الله له صوم عصور ودهور".

٣- بذل المال:

وهو الصورة المباشرة الواضحة التي تدفع فيها بالمال إلى يد الفقير.

غنى يعني أسى

عبد الطمع يده مغلولة إلى عنقه والحر يداه مبسوطتان، ومن سادة الأحرار طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فعن طلحة بن يحيى بن طلحة قال: حدثتني جدتي سعدى بنت عوف، وكانت محل إزار

طلحة بن عبيد الله (زوجته) قالت: دخل عليّ طلحة ذات يوم وهو خائر النفس فقلت: مالي أراك كالح الوجه؟ وقلت: ما شأنك؟ أرابك مني شيء فأعينك؟ قال: لا: ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وأكربني. قلت: ما عليك.. اقسمه. قالت: فقسّمه على الفقراء حتى ما بقي منه درهم واحد. قال طلحة بن يحيى: فسألتُ خازن طلحة: كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف!!

خيانة!!

ألا يستحي المسلم أن يشهد شهر الجود والكرم وإخوانه في فلسطين وغيرها يتضوّرون جوعًا من شدّة الألم، ألا يجد غضاضة أن تزدحم مائدته بألوان الطعام وأنواع المتع وإخوانه لا يجدون ما يسدون به الرّمق؟! ألا يخجل من أن يرفع يديه طالبًا الرحمة في شهر الرحمة وليس في قلبه مثقال ذرة من رحمة؟!

كان حاتم الطائي يقول في الجاهلية:

أمـا والذي لا يعلم الغيـب غيـره
ويحيي العظـام البيض وهـي رميـم
لقد كنتُ أطوي البطن والزاد يشتهى
مخـافـة يـومًا أن يُـقـال لئيـم

فهل طويت بطنك يوما في سبيل الجائعيـن من إخوانك الذين يستغيثون بك في شتى بقاع الأرض؟! هذا رجـل يفعل ذلك أيام جاهليته وهو لا يرجـو ثوابًا أو يخشى عقابًا، فكيف بمن شوّق إلى الجنة غاية التشويق، ووُعد بها إن هو بذل؟!

وحاتم هذا حتى قبل أن يُسلم كان يخرج بالليل ويقول لغلامه: التمس لي ضيفًا الليلة: فإن أتيت به فأنت حر!! ومصائب المسلمين اليوم جعلتك لا تحتاج إلى من يلتمس لك ضيفا أو يبحث عن محتاج!!

أخي! لو كنت مكانك لقمت فور قراءة هذه الصفحة، فأخرجت كل ما في جيبي من مال وجعلته لهم، فإن لم تطاوعني يميني

فنصفه، فإن غلبتني شهوتي فثلثه، وإلا فعُشرُه، وليس بعد العُشر من الخير مثقال حبة خردل، وسأترك لك الآن ثلاثة أسطر أخرى فارغة لتملأها بهذه المهمة.

....

....

....

والآن.. هل انتهيت؟ أعرف أن الأمر قد يكون صعبًا لأول وهلة، لكن حسبك أن له حلاوة قلبية لا توصف، ولذة روحية تعجز عن وصفها الكلمات، فإن كنت ماديًا لا تقنع إلا بالآثار الملموسة والنتائج المحسوسة ولا تفهم إلا لغة المعادلات والأرقام، فانظر حولك والمح أثر الصدقة الناصع في درء المصائب وستر المعايب وتيسير العسر وإطالة العمر، وغير ذلك من الآثار التي لا توصف ثم أنتم تبخلون!!

الفقراء أيضًا يتصدّقون!!

يا من حُرِم نعمة المال واكتوى بنار الفقر تمهّل!! فلم يغلق دونك الباب ولم تُحرم الثواب، فاخلُ بنفسك في دار المحاسبة ساعة، وابحث عن أي نعمة من نعم الله عليك مضاعة، سبق وأنعم بها عليك ثم ألهتك الأيام عن أغلى البضاعة، ثم تفكَّر كيف ستنفق منها وعلى من ستتصدّق، وبعدها، نافس أصحاب الأرصدة واسبق أرباب الأموال قبل أن يسبقوك إلى أنهار الجنة وأحضان الحور.

جاء رجلٌ إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة له فقضاها له الحسن، فأقبل الرجل يشكره، فقال الحسن: علام تشكرنا؟! نحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة، ثم أنشأ يقول:

فُرضت عليّ زكاةُ ما ملكت يدي
وزكاة جاهي: أن أُعين وأشفعا

فإذا ملكت فجُد فإن لم تستطع
فاجهد بوسعك كلّه أن تنفعا

ومع هذه المفاجأة التي أتحفت رمضان وأدخلت السرور على قلبه، فأصرّ على نقل البشرى إلى رب العالمين، وتخليد اسمك بذكره في حضرته، وهي خبر اشتراكك في:

٤- مشروع الثلاثين عمرة:

قال رسول الله ﷺ : **"من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة"**. (صحيح). هذا في كل الأيام فكيف بأيام رمضان؟

وليقرّب النبي ﷺ هذا الثواب الأخروي الغيبي إلى الأفهام والعقول شبّهه بمثل دنيوي محسوس، فعن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرّة، فقال رجل: يا رسول الله ! ما رأينا بعث قوم بأسرع كرّة وأعظم غنيمة من هذا البعث، فقال النبي ﷺ : **"ألا أخبركم بأسرع كرّة وأعظم غنيمة من هذا البعث؟! رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمل إلى المسجد فصلى فيه الغداة، ثم عقب بصلاة الضحى، فقد أسرع الكرّة وأعظم الغنيمة"**. (صحيح).

ولأنك كريم أبيت إلا أن تعلّق الزينات والأنوار في مدخل بيتك احتفاءً بالضيف الكريم، أبينا إلا أن ننشر خبرك هنا، ونعرض لواحدة من أجمل هذه الزينات ألا وهي زينة:

٥- الاعتكاف:

الاعتكاف هو زيارة الله في بيته، والانقطاع إليه فيه، وحقّ على المزور أن يكرم زائره، لذا كان النبي ﷺ يعتكف كل رمضان عشرة أيام: فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوما، وآكدّ هو الاعتكاف في العشر الأواخر تحريًا لليلة القدر، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، قد عكف قلبه وقالبه على ربه وما يُقرّبه منه، فما بقي له همّ سوى الله وما يرضيه.

لذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولو لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه.

الحكمة من حكيم

قال ابن القيّم:

"وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه: عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق، فيُعِدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له ولا ما يُفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم".

الوصفة الذهبية

والاعتكاف المطلوب اليوم ليس الاعتكاف الذي يجعل من المساجد مهاجع للنائمين، ومجالس للمتزاورين، وموائد للأكل، وحلقاتٍ للضحك، ومرتعًا لفضول الكلام، فهذا اعتكاف لا يزيد صاحبه إلا قسوة في القلب وبعدًا عن الله، إما الاعتكاف المنشود فهو الذي تسيل به دموع الخاشعين وترق به قلوب المشفقين وتُرفع فيه أكف المتضرعين، إنه الاعتكاف الذي لا يُصرف منه لحظة في غير طاعة، ليكون بذلك علاجًا فعّالاً لثلاثة أمراض تعتبر من أهم علامات موت القلب، وهي التي أشار إليها ذو النون في قوله:

"ثلاثة من علامات موت القلب: الأنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتقاد حلاوة الذكر".

وبهذا فقط يمكن أن نعتبره أقصر الطرق إلى الإخلاص. قال

ذو النون: "لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله، وإذا لم ير غير الله لم يحركه إلا حكم الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلّق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق".

ومن أدلة كرمك اليوم أيها الأخ الكريم أن تنثر أزكى العطور وأشذاها في جنبات بيتك، لتفوح أثناء الزيارة وتنشر البشر والسعادة، ومن أجمل هذه العطور اليوم عطر نفّاذ اسمه:

٥- الدعـــاء:

التوأمان

مما يلفت الأنظار أن آيات الصيام جاء عقبها ذكرُ الدعاء:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

البقرة: ١٨٦

إشارةً إلى أن الصائم مرجوٌّ الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مباركة دعواته، وإلى استحباب الدعاء عند كل فطر في رمضان.

تأمل شهيد القرآن سيد قطب في هذه الآية بشفافية الأديب ورقة الشاعر ثم أفاض علينا بما يلي:

"أية رقة؟ وأي انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأي إيناس؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود، وظل هذا القرب، وظل هذا الإيناس؟ وفي كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة، إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضا المطمئن، والثقة واليقين، ويعيش منها المؤمن في جناب رضيٍّ، وقربى ندية، وملاذ أمين، وقرار مكين".

فلنخصص عشر دقائق كل يوم قبيل الإفطار نتوضأ فيها ونتوجه الى القبلة ونرفع فيها أكف الضراعة إلى العلي القدير

أن يرفع البلاء عن إخواننا في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير وغيرها من بلاد الإسلام، وكيف تصدق من يحدث نفسه بالشهادة ويبخل على المجاهدين لا أقول بماله بل بحركة لسانه وذلك في دعائه ثم يزعم أنه صادق!!

حذار أن تغضبه

عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **"إنه من لـم يسـأل الله يغضب عليه"**. (صحيح) قال المناوي: "لأن تارك السؤال إما قانط وإما متكبر، وكل واحد من الأمرين موجب الغضب".

وتارك الدعاء قد يكون قلبه متعلقًا بغير الله فيستوجب غضب الله عليه ولا تنقضي حاجته عقوبة له على هذا الذنب، وما كان حمدون القصّار مبالغا حين قرّر أن: "استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون".

ولذا لما رأى وهب بن مُنبِّه رجلاً يأتي الملوك ويسألهم من عطاياهم لم يتمالك نفسه، فانطلق يأمره وينهاه قائلاً: ويحك!! تأتي من يُغلق عنك بابه، ويُظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه الليل مع النهار، ويظهر لك غناه، ويقول ادعني أستجب لك!!

شاد الملوكُ قصورهم وتحصَّنوا
من كلِّ طالب حـاجة أو راغـب
غـالوا بأبــواب الحــديد تمنُّعًا
قد بالغوا في قُبحِ وجه الحاجب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن
بادي الضَّراعة طـالبًا من طالب

ولأنه بضدها تتميّز الأشياء: أتيتُ لك في المقابل بمثل آخر يصوّر القوة الشامخة وعزة النفس المستمدة من رب العزة، وذلك من سيرة أستاذ الإباء والكرامة الشيخ عز الدين بن عبد السلام،

الذي أراد أن يعلِّمنا الدرس عن طريق هذه المبالغة الطريفة، فكان رحمه الله إذا قرأ عليه أحد طلابه بابًا من أبواب العلم وانتهى يقول له: اقرأ من الباب الذي يليه ولو سطرًا: فإني لا أحب الوقوف على الأبواب!!

سلسلة المفاتيح الخمسة

المفتاح الأول:

أحسن الظن بربك:

قال ﷺ: **"قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله"**. (صحيح)

قال الشوكاني شارحًا:

"فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها: فمن ظن به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميع تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ أعطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا".

المفتاح الثاني:

ارفع لواء التوبة:

كلمة السر لفتح باب الإجابة: إنابة، وإلا فكيف يجيبك إلى طلباتك ويثق في أقوالك وأنت تعلن عليه الحرب بأفعالك؟! وقد أوجز بشر بن الحارث الحافي هذا الشرط أبلغ الإيجاز في ثلاث كلمات حين عرّف الدعاء بقوله: الدعاء ترك الذنوب.

المفتاح الثالث:

أدمن أكل الحلال:

قيل لسعد بن أبي وقاص: تُستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ قال: ما رفعتُ إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيؤها؟ ومن أين خرجت؟

وهذا هو الورع الذي عناه محمد بن واسع في قوله: يكفي من الدعاء مع الورع اليسير كما يكفي القدر من الملح.

المفتاح الرابع:

أظهر فقرك واعترف:

هي طريقة الأنبياء وتربية الخُلَّص الأنقياء. قال تعالى عن دعاء يونس عليه السلام:

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

وقال عن دعاء آدم وحواء عليهما السلام:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف: ٢٣

وقال عن موسى عليه السلام:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ القصص: ٢٤

وقال عن أيوب عليه السلام:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٣

وقال نبينا ﷺ يعلِّم أبا بكر رضي الله عنه أن يدعو في صلاته: **"قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وانه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم".** (صحيح)

وقد رأى مورِّق العجلي أن تلك الحال لا بد أن تكون حال كل مؤمن، ومن اقتفى الأثر حطَّ رحاله في الجنة مع خير البشر. قال رحمه الله: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا كمثل رجل في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب.. يا رب.. لعل الله ينجيه.

ونبرة الدعاء هذه في زماننا أوجب لأنه زمان فتن واختلاط الحق بالباطل وشيوع المنكر وعلو أهله وتواري المعروف وأهله مما جعله قريباً من زمان قال عنه حذيفة بن اليمان:

ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق.

المفتاح الخامس:

قدّم دعاء الرخاء:

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، فإن يونس عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى:

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

الصافات: ١٤٣-١٤٤

وإن فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله تعالى:

﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٩١

خير في بطن الشر!!

قال سفيان بن عيينة: ما يكرهُ العبدُ خيرٌ له مما يحب!! لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه.

ويشرح ابن تيمية العبارة السابقة في استفاضة بليغ فيقول:

"من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدًا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه: ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجدب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة، فإن ذلك لذّات بدنية ونعم دنيوية، قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن، وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يُعبّر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قال بعض السلف: يا ابن آدم! لقد بورك لك

في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك، وفي بعض الإسرائيليات: يا ابن آدم! البلاء يجمع بيني وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك".

أخي!

هذه الوصايا هدايا، جملها قصيرها لكن معانيها غزيرة:

بالغ في السؤال يُغدق بالنوال.. الزم الأعتاب تنجُ من العتاب.. الإلحاحَ الإلحاحَ لإدراك الفلاح.. الاغترافَ الاغترافَ من بحر الاعتراف.. الخشوع والخضوع لتأكيد الرجوع.. لسان الدمع أفصح من لسان الشكوى.. أقصر طريق إلى العفو البكاء.. مفتاح باب القبول الرجاء، وأخيراً: حسن الظن والأمل ضائعٌ دون العمل، فقدّم الثمن وارتقب المنن.

لؤلؤة الدعاء: الاستغفار

الاستغفار هو طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول فيه نفع لأنه خيٌر من السكوت: ولأنه يعوّد اللسان قول الخير، والثاني نافع لتطهيره القلب من أمراضه، والثالث أفضل الجميع وهو عين التوبة، وهذا هو النوع الذي عناه ذو النون لما سئل عن الاستغفار فقال:

"الاستغفار اسم جامع لمعان ستة، أولهن: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك الرجوع إلى الذنوب أبدا، والثالث: أداؤه إذا كان فرضا ضيعته فيما بينك وبين الله عز وجل، والرابع: أداء المظالم إلى المخلوقين في أموالهم وأعراضهم ويصالحهم عليها، والخامس: إذابة كل لحم ودم نبت من الحرام، والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية".

واحذر كل الحذر من وقوع الخلاف بين اللسان والقلب، فإنه نذير شؤم وعلامة دمار. قال ابن رجب:

"من استغفر بلسانه وقلبه معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود".

كلهم مدحوه

أولهم وسيّدهم هو رسول الله ﷺ الذي قال: "**من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار**" (حسن). ثم جرّب الصالحون الوصية فوجدوا الحلاوة كلها والخير أكمله، فانطلقوا ينصحونك:

- قال أبو هريرة رضي الله عنه : الغيبة تخرق الصيام و الاستغفار يُرقّعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مُرقّع فليفعل.
- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار و صدقة الفطر، فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يُرقّع ما تخرّق من الصيام باللغو والرفث.
- وقال إبراهيم بن أدهم: ما ألهم الله عبدًا الاستغفار وهو يريد أن يعذّبه.
- وقال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأين ما كنتم، فإنكم لا تدرون في أي وقت تنزل البركة.

البشريات الغاليات في الثمان آيات

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما :

"ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت:

أولهن:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ثلاثًا متتابعات.

والرابعة:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

والخامسة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾

والسادسة:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

والسابعة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

والثامنة:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

والآن جاء دورك، لتخلو بنفسك، وتستجمع قلبك، وتذكر ذنبك، وتستغفر بعدها استغفارًا عميقًا تحقق فيه شروط ذي النون الستة، وكما أن الورقة أمامك بيضاء نقية، فإن الله كريم وببركة استغفارك هذا سيجعل صحيفتك مثلها بيضاء: ليس فيها ذنب واحد يسوِّدها، أعلم أن عوائق الفهم والعمل كثيرة تبنيها الذنوب كل يوم وتراكمها، لكن حسبك أن يحطّمها هذا الذكر المبارك، فهيا يا أخي أنت ومن معك من إخوانك من قُرّاء هذه الكلمات.

وقد خصّصتُ لكم هذه المساحة البيضاء وهي أكبر من مثيلاتها السوابق: لأن ذنوبنا كثيرة تحتاج استغفارًا طويلاً لا تكفيه هذه الصفحات بأسرها: إلا أن يتغمدنا الله برحمته.. استغفروا.

....

....

....

....

قبــــل المغــــادرة

أخي! الضيف مرتحل غداً.. أسرع قبل أن يهرب الثواب من يدك، وتفقد الجنة في غدك.. بادر إن كنت تطمح أن تكون من الفائزين.. دع عنك الكسل وإن كان طعمه أحلى من العسل فإن آخره علقم، لذة الكسل ساعة وتزول، وتعب الطاعة يعقبه فرح لا يزول.

ومرَّ بـــدار المتـــرفين وقل لهــم
ألا أين أربـــاب المدائن والقـــرى
ومرَّ بـــدار العابـــدين وقل لهـــم
ألا أذهب الموتُ المشقّة والعنى

أخي! الشهر قصير ما يحتمل التقصير، وقدومه عبور لا يقبل الفتور، ورمضان زائر غير مقيم، فاحرص على استقباله بعزم حديدي وإرادة صخرية تتحطم عليها أمواج الأهواء، وضع نصب عينك خلاله.. أنك إذا استطعت أن تتغلب على نفسك وصلت إلى الهدف، وإذا لم تستطع .. خسرت المعركة.

أخي! ندمك عند انتباهك من غفلتك، وارتعادك خوفا من عاقبة خطيئتك، وبكاؤك ندما على ما فات من ثواب طاعتك يساوي اليوم الكثير، ودمعة ندم من المذنب على سيئاته أشرف من ألف ركعة من العابد مع إعجابه.

أخي! لولا ظلمة المعصية ما أشرق نور التوبة فلا تبتئس، بل قم وخذ ثأرك من شيطانك الآن، واستخلص نفسك من أسره بالإحسان، واهرب من سجنه إلى حصن التقوى، بل واهدم حصونه بأسلحة التوبة، واقصم ظهره بكلمات الذكر، واغتنم مواسم الفضل التي يشكو فيها ذل الهزيمة والهوان: بل ويدعو فيها بالويل والثبور لما يرى من تنزل الرحمات وكثرة العتقاء وتبديل السيئات.

أخي! أسرع قبل أن يُغلق عليك الباب، وأعني به باب القبر!! فإنك لا تدري متى ينقضي العمر، وكم من متهلل بالشهر وهلاله

اختطفه الموت في خلاله، ولو أنك عرفت رقمك التسلسلي في قائمة زوار هذه الدنيا لأدركت بحق قرب وصولك إلى الآخرة، فيا شدة الخجل عند حضور الأجل! ويا حسرة الفوت وقت قدوم الموت!

أخي! أيمر عليك العام تلو العام وقلبك غارق في الأوهام والأحلام!! أو كلما ابيض شعرك بمرور الأيام اسودّ قلبك من كثرة الآثام!! أخبرني بالله عليك إذا كنت في شبابك غافلا، وفي مشيبك مسوّفا، فكيف تنجو؟!

أخي! انتفض من فورك، فقبيح بمن كان بين الصفين أن يتشاغل بغير القتال، ووالله ما هي إلا أيام معدودة وساعات محسوبة تمر مر السحاب، ثم تُودّع شهر الطاعات وموسم البركات وزمن مضاعفة الأجور والحسنات، فلا تحقرنّ من المعروف شيئًا وإن قلّ، فإنه سبحانه يجازي بمثاقيل الذرّ، ويُكافئ على ذرّات البرّ بالرضوان والقصور العامرة بالياقوت والدر.

أخي! الخلود في الدنيا لا يُسأل، والفناء آت لا محالة، فخاطب نفسك اليوم وقل لها: كل يوم من هذه الأيام يمر ولم أزدد من الله فيه قربا، فما هو من عمري وما هو محسوب في زمرة الأيام.

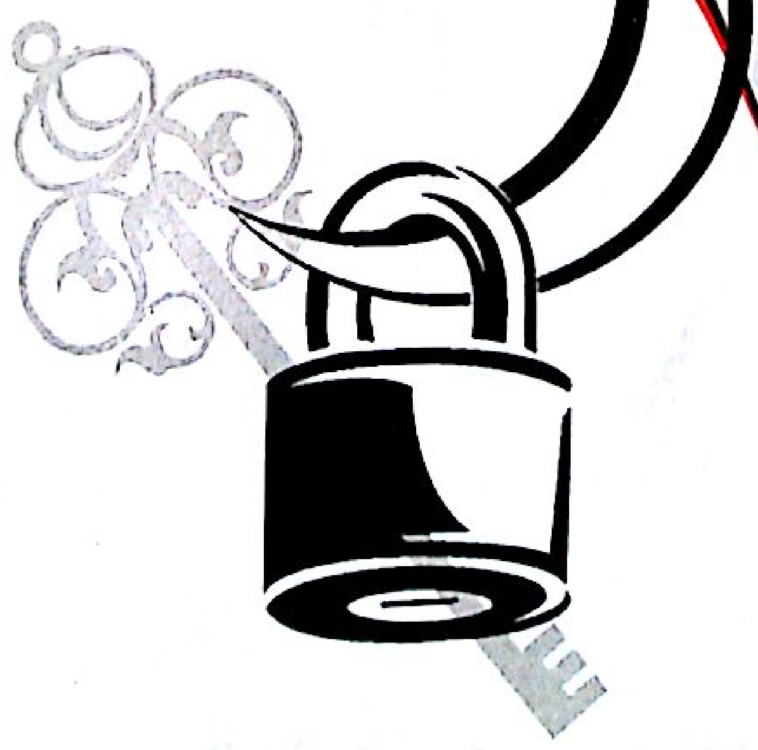
إذا مرّ بي يــومٌ ولــم أستــزد هــُدى

ولم استفد خيرًا فما ذاك من عمري

من الطارق

الفصل الثالث

الأقفال الخمسة



من الناس من يغلق بابه في وجه رمضان، ويطرده شرَّ طردة، ولا يكتفي بهذا بل يرفع شعار: أحكموا الأقفال، ليتأكّد من عدم تسرب الهداية إلى قلبه والنور إلى بيته، وقد يتسلل إلى قلبك أنت أيضا شيطان مريد، فيجعل عليه أحد هذه الأقفال دون أن تشعر، لذا وجب التنبيه.

وقبل التعرض لهذه الأقفال، أرسل إليك ثلاث رسائل تهديد شديدة اللهجة لتبعث في قلبك الوجل، وفي عقلك الرشد، وفي قلب شيطانك الرعب، فيهرب منك فور أن يراك.

١- التهديد الأول: قانون الاصطفاء والاجتباء:

اصطفى الله تعالى واجتبى نبيه محمداً ﷺ، وكان هذا الاصطفاء سبباً في مضاعفة حسناته، كذلك أخبره سبحانه أن ما يكون منه من خطأ فعقوبته مضاعفة وحاشاه ذلك، لكنه بند من بنود قانون أهل الاصطفاء والاجتباء، وهو نفس القانون الذي يسري على أمهات المؤمنين:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾

الأحزاب: ٣٠-٣١

فلأن الله اصطفاهن لنبيه ﷺ، فصار لهن من الحظوة والنعمة والشرف ما ليس لغيرهن، ولتقديمهن على سائر نساء المسلمين كان جزاء عصيانهن مضاعفا، كما أن ثواب طاعتهن مضاعف، فزيادة الفضل يتبعها ولابد زيادة فداحة الذنب، وبالتالي مضاعفة العقوبة.

والقانون نفسه معمول به في الأماكن المختصة بالشرف والحرمة مثل مكة، فثواب الأعمال فيها أعظم من غيرها، فالصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة فيما سواه، وكذا الذنب فيها مضاعف. قال عزّ وجل:

﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ الحج: ٢٥

والحكم نفسه سار في الأزمنة الفاضلة كشهر رمضان، ودليل حرمته النصوص الدالة على عظمة الشهر، وبيان عظيم الأجر فيه، واختصاصه بليلة القدر، فالحسنات فيه مضاعفة، وكذلك السيئات، لأن التضعيف في حال الاصطفاء والاجتباء كما تبيّن يكون في الحسنات والسيئات.

ويدلُّ على ذلك أيضا عظم الذنب في رمضان، فإن النبي ﷺ رأى قومًا معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل دماؤهم، فسأل عنهم؟ فقيل له: **"الذين يفطرون قبل تحِلّة صومهم"**. (صحيح)

وقد أمر النبي ﷺ الرجل الذي أتى امرأته نهار رمضان بأعظم الكفارات، وهي كفارة القتل الخطأ والظهار: عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وغلظ الكفارة من غلظ الذنب، وقد استوجبها من واقع زوجته في نهار رمضان، فأكّد هذا على أن الذنب في رمضان ليس كغيره.

٢- التهديد الثاني: خياران أحدهما مرٌّ:

يرى بعض العلماء أن المعاصي تبطل الصوم، واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"**. (صحيح)

وعنه أيضا أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش"**. (صحيح)

وقد أوّل الجمهور هذه الأحاديث بأن المراد منها زجر الصائم وتحذيره من ارتكاب الآثام في هذا الشهر الفضيل، ليصون صومه مما يشوبه من المعاصي فيكون كامل الثواب، وليس المراد بطلان صومه.

ومهما يكن الأمر، فلماذا تترك نفسك تحت رحمة من يفتي بصحة صومك أو فساده، بل حتى الذين أفتوا بصحة الصوم لا

يجرؤون على القول بقبوله عند الله وإثابة العبد عليه، ليخرج العبد من رمضان صفرا أو دون الصفر بقليل!!

إذا لم يكن فـي السمع منـى تصامـم
وفى العين غضٌ وفـي منطقـي صمتُ
فحظي إذًا من صومي الجوع والظمـأ
فإن قلتُ إني صُمت يومي فما صُمتُ

قصة متبرجة في رمضان

كابدت الجوع وواجهت العطش، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ولم تكتف بذلك بل تحوّلت دون أن تدري إلى قاعدة متحركة للشيطان يُطلق منها سهامه، ليفسد على الناظر صيامه، ويقطع على التائب طريق رجوعه وإيابه، وينشر الغواية في شهر الهداية، وهي السبب في ذلك كله، وبدونها ما بلغ الشيطان هدفه وما نال مراده!!

أختاه! يا من لم تتحجبي.. يا كاشفة اللحم للافتراس.. يا تاركة الكنز بلا حراس.. يا عاشقة الظهور وواضعة العطور.. كفاك قصماً للظهور.. أترضين أن يكون هذا حالك؟! يستخدمك الشيطان ويستأجرك، ويضيع ثوابك وثواب من يرمقك ويجاورك.. ألا تقومي من الآن إن أردت أن تردي على الشيطان كيده، وأعلني الهجوم المضاد عليه، وردي له الصاع صاعين، واستري من اليوم لؤلؤة جمالك في صدفة حجابك، وأطيعي أمر ربك الذي عاندتيه طوال حياتك.

والآن إلى أسطر العمل الثلاث، وهي في هذه الحالة مخصصة لكل مرتدية للحجاب وقع بصرها على هذه الأسطر، لتحدد أسماء ثلاثة من زميلاتها المتبرجات لتحدّثهن عن فضل الحجاب ووجوبه، وطاعةِ الله ورضاه، وما أسهل ذلك في شهر يشتد فيه ظمأ القلوب للتقى، فهدايتها اليوم أقرب من أي وقت مضى، والثواب يهتف بالداعيات وينادي على الراغبات في الحصول

على أسهل أجر بأيسر جهد.

....

....

....

....

٣- التهديد الثالث: الدعاء عليك:

قال ﷺ : **"أتاني جبريل فقال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين".** (صحيح)

ومن الذي يظن أنه سينجو من دعوة أعظم مَلَك يؤمِّن عليها أفضل نبي، بل تولى ﷺ مهمة الدعاء بنفسه في موضع آخر فقال: **"... ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، .. ".** (صحيح)

أي لصق أنفه بالتراب كنايةً عن حصول غاية الذل والهوان، وذلك لأنه فرّط في حق نفسه حتى مضى الشهر ورحل، وهو شهر واحد في العام: لو كان كفّ نفسه فيه عن المعاصي وأتى ما أمر الله لغفر له ولكنه قصر، فاستحق الدعاء عليه، والمعنى: اغتنم هذا الشهر يرفعك الله ويعزك وإلا غرقت في بحر الهوان.

أخي! أترضى أن يدعو رسول الله عليك؟! أما تخشى إجابة دعائه وهي أكيدة؟! أما تخاف نزول الهوان بك إن فرّطت في الغنيمة؟!

يا من ضيع عمره في غير طاعة.. يا من فرّط في شهر الخير وأضاعه.. يا من ليس له سوى التسويف والكسل بضاعة..

افهم!!

كل صوم لا يمنع من قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا مقتًا.. كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بعدًا..

رمضان شهر الطُّهر وبيت النقاء، فكل ملوَّث أو باغ أو مُقصر أو عاص لابد له أولاً أن يخلع ثوب تقصيره على عتبة الباب قبل أن يدخل، وإلا لم تُقدم له هدية التقوى ولم ينل جائزة القربى، فيرجع رمضان من زيارته منكسرًا حزينًا ويرجع هو بالخيبة والخسران.

وبعد استلام هذه الرسائل الثلاث، سيكون القلب قد تهيأ لتلقي التحذير من أقفال خمسة، فمع أول هذه الأقفال لا جعلني الله وإياكم من صُنّاعها أو أصحابها أو حتى أصحاب أصحابها:

القفل الأول: عدم الاستعداد:

الاستعداد للعمل هو علامة التوفيق وأمارة الصدق وبداية النجاح. قال عز وجل:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ التوبة: ٤٦

فلابد أن تُمهّد لطاعتك حتى تدرك غايتك، وأحرى بك أن تستعد لها حتى تؤتي أكلها، وهذا الأمر أوجب في رمضان حيث الأعمال ذات الفضل العظيم والثواب المضاعف الجليل، فالخسارة اليوم مضاعفة والتفريط مدمر، فلترفع من الآن شعار: إن لم أستعد اليوم، فليس الغد من نصيبي.

ومن الاستعداد: أن تستعدَّ لرمضان قبل قدومه بصيام شعبان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان أحبَّ الشهور إليه أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان". (صحيح)

وذكروا لذلك حكمة وهي التمرين على صيام رمضان. قال ابن رجب: "وقد قيل في صوم شعبان معنى آخر، وهو أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرّن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذّته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط".

ومن الاستعداد: أن يراجع كل مزور ارتباطاته ومهامه والأعباء التي يضطلع بها قبل قدوم الزائر، وأن ينجز ما يستطيع إنجازه من هذه الأمور كشراء ملابس العيد وتخزين المواد الغذائية وقضاء الواجبات الاجتماعية وذلك قبل حلول الشهر: حتى يستفيد من الزيارة أعظم استفادة ويتمكن من القيام بمراسم الضيافة والاستقبال على الوجه المنشود، فإن لم يفعل فاجأه الشهر بزيارته فيجد نفسه مثقلاً بالمواعيد والأعباء التي يعجز معها عن تحقيق ما تمنى ونيـل ما ناله النـابهون المجـدون.

ومن الاستعداد: التهيؤ للعبادات بعد دخول الشهر، ومن ذلك الاستعداد لصلاة الجماعة التي لابد أن يسبقها إحسان وضوء وتجديد نوايا عديدة تحصيل الأجر، وزيارة الله في بيته، والمسارعة إلى تلبية ندائه، والشوق إلى سماع خطابه، والالتذاذ بمناجاته، ويستمر هذا الإعداد على قدم وساق فتردد أذكار الخروج من البيت والمشي إلى المسجد، فإذا دخلت المسجد شرعت في النافلة حتى يقام للصلاة، وعندها يكون قلبك قد تهيأ لكمال الحضور أثناء الفريضة.

ومن الاستعداد: الإقلال من الطعام، فكثير من الناس يشكو عدم حضور القلب في صلاة التراويح، والعلاج أيضاً في الاستعداد والتهيؤ للخشوع بتقليل الطعام.

أخي! أتبيع قيام الليل بلقمة!! أتزهد في صلاة الملائكة عليك بشبع آخره مرض وتخمة!! واسمع ذا النون المصري وهو يحثك على تناول هذا الدواء في قوله: تجوّع بالنهار وقم بالأسحار لترى عجبًا من الملك الجبار، ويتردد صدى كلماته على لسان يحيى بن معاذ الذي قال: من شبع من الطعام عجز عن القيام، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدّام، بل جعل الفضيل بن عياض ذلك من أسباب قسوة القلب فقال: خصلتان تُقسّيان القلب: كثرة النوم وكثرة الأكل. فهل عرفت الآن أيها الأخ الحبيب أن الطعام قد يكون أخفى مكائد عدوك في رمضان وأنت لا تشعر؟!

ولذا كان الشافعي ذكيًا حين فطن لذلك وأبطل كيد عدوه واسمع إليه يقول: ما شبعت منذ ستة عشرة سنة إلا شبعة طرحتها، لأن الشبع يقتل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

القفل الثاني: مرض حواء:

لا تحزني أختاه .. فهذا شيء كتبه الله على بنات آدم، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ السيدة عائشة يوم جاءها الحيض وهي في الحج. قالت رضي الله عنها: دخل عليّ رسول الله ﷺ بسرف وأنا أبكي، فقال: **"ما لك أنفست؟"** قلت: نعم. قال: **"إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم"**. (صحيح)

ويمسح النبي ﷺ الحزن عن قلبك ويهديك هذه البشارة فيقول: **"إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما"**. (صحيح)

والحيض يمنع صاحبته مما كانت تفعله وهي صحيحة، فإذا أتاها وكان لها رصيد من العبادة لم يمنعها من مواصلتها إلا الحيض: كان لها من الأجر مثل ما كانت تعمل وهي صحيحة.

ويرشدك النبي ﷺ إلى حل آخر سهل وفي متناول يدك. قال رسول الله ﷺ : **"فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"**. (صحيح). فالذكر والتسبيح جائز للحائض بلا خلاف بين أهل العلم. قال الإمام النووي: "أجمع العلماء على جواز التسبيح والتهليل وسائر الأذكار غير القرآن للحائض والنفساء".

لا تيأسي أختاه..

فيمكنك كذلك أن ترددي في نفسك من غير تلفظ ما تحفظين من قرآن أو من المصحف دون أن تلمسيه بأن يكون موضوعا على حامل أو غيره. قال النووي: "والنظر في المصحف وإمرار ما فيه في القلب جائز بلا خلاف".

لكن الذي يجب أن يُحزنك بالفعل هو أن يصيبك ما أصابك وأنت مقصرة في جنب الله، فعندها يحق لك أن تتألمي كما سبق وتألم عبد الله بن المبارك حين مرض فجزع حتى رأوه جزعاً، فقيل له: ليس بك كل ذلك وأنت تجزع كل هذا الجزع!! قال: مرضتُ وأنا بحال لا أرضاه.

إلى كل مريض

يا من خانته قوته عن الصيام والقيام.. يا من شغله مرضه عن لحاق السابقين الكرام:

- **أعجزت** أن تكون مثل عُلبة بن زيد رضي الله عنه؟! لما حضَّ النبي ﷺ على الصدقة ولم يكن لديه ما يتصدق به: خرج من الليل فصلّى وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغّبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض.

- **أعجزت** أن تكون كأبي ذر الغفاري رضي الله عنه فتتصدّق من نفسك على نفسك؟! قال أبو ذر: يا رسول الله .. أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: "**تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك**" (صحيح). وقديماً نصحك ابن الجوزي: إن لم تكن أسداً في العزم ولا غزالاً في السبق فلا تتثعلب.

- **أعجزت** أن تقتدي بعبد الله بن ثابت رضي الله عنه فتنوي نية صادقة إن عافاك الله لتطيعن ولتبذلن، وكان رضي الله عنه قد أعدَّ عدة الحرب ليلحق بالنبي في غزوة بدر، فمرض مرضاً شديداً مات منه قبل خروجه، فبكته ابنته وقالت: والله إن كنتُ لأرجو أن تكون شهيداً: فإنك كنت قد قضيت جهازك، فقال لها النبي الله ﷺ : "**إن الله عز وجل قد أوقع أجره على قدر نيته**". (صحيح)

القفل الثالث: السوق:

قال رسول الله ﷺ : "**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**". (صحيح)

قال النووي: "لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه، والحب والبغض من الله تعالى: إرادته الخير والشر أو فعله ذلك بمن أسعده أو أشقاه، والمساجد محل نزول الرحمة ، والأسواق ضدها".

ولذا سماها سلمان الفارسي رضي الله عنه معركة الشيطان فقال: "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته".

فشبّه السوق وتنكيل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة، وكان رضي الله عنه يتحدث عن القرن الأول الهجري حيث الطهر والعفاف في ظل الوحي وأجواء الصحابة، فكيف لو رآنا ونظر إلى ما يقع في الأسواق من الاختلاط المذموم، والتبرّج المرذول، ومواعيد الهوى، ونظرات الشهوة، بل بيّن رحمه الله استقراره فيها وتحكّمه في أهلها بقوله: (وبها ينصب رايته): إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه هناك ، فهي قاعة اجتماعاته، ومركز تلقّي التكليفات الإغوائية والأوامر الشيطانية، ولذا كان عمرو بن قيس الملائي إذا نظر إلى أهل السوق بكى وقال: ما أغفل هؤلاء عما أُعدّ لهم.

توقيع الصالحين!!

وقد كان للصالحين مع الأسواق حالٌ آخـر، فقد كانـوا يأتون السوق لذكر الله حال الغفلة، وكأنهم أبطال شجعان يُوقعون على دفاتر الحضور في مواقع الخطر، أو محبون صادقون يثبتون لله أنه ما ألهاهم مال التجارات عن ذكر ربهم في كل الأوقات، فهذا التابعي محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يُكبر ويُسبح ويذكر الله تعالى، فقال له رجل: يا أبا بكر .. في هذه الساعة ؟ قال: إنها ساعة غفلة. فكان من بركة عبادته وعاجل مثوبتـه أن من رآه على هذه الحال ذكر الله مثله. قال أبو عوانة: "رأيت محمد بن سيرين في السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله".

وكان هذا حال عبد الله بن أبي الهذيل: "إن الله عز وجل يحب أن يذكر في الأسواق وذلك لكثرة لغطهم ولغفلتهم، وإني لآتي السوق ومالي فيه حاجة إلا أن أذكر الله".

وهذا الحسن البصري يبشِّر بقوله: "من ذكر الله في السوق كان له من الأجر بعدد كل فصيح فيها وأعجمي". ويعني بالفصيح: الإنسان، والأعجم: البهيمة.

ومن قبل هؤلاء جميعًا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي كان يقول: "إني لأخرج إلى السوق وما لي حاجة إلا أن أسلِّم ويسلَّم علي".

وما أجمل تشبيه حميد بن هلال لهؤلاء الصالحين في صنيعهم هذا بقوله: "مثل ذاكر الله في السوق كمثل شجرة خضراء وسط شجر ميت".

التجارة الرابحة!!

قال محمد بن واسع: قدمتُ مكة فلقيت بها سالم بن عبد الله بن عمر، فحدثني عن أبيه عن جدّه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **"من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير.. كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتا في الجنة"**. (صحيح)

قال محمد بن واسع: فقدمت خراسان فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته الحديث. قال: فكان قتيبة يركب في موكبه حتى يأتي السوق، فيقولها، ثم ينصرف.

ومن كيد الشيطان ومكره أن فتن الأسواق أشد ما تكون في رمضان، وبالأخص في العشر الأواخر من رمضان وهي أفضل ليالي العام بالإجماع، وفيها تتدافع النساء على شراء ملابس العيد وهداياه، فتكون الخسارة أشد لأن اليوم هو أغلى المواسم بلا خلاف، فهل لا تزال أي منكن يا أخوات مصرة على الخسارة؟!

القفل الرابع: العبادة المفضولة:

جاء في الحديث القدسي: **"وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه"**، ولذا قال بشر بن الحارث الحافي بصيغة الأمر: إذا أخلّت النوافل بالفرائض فاتركوا النوافل.

ومن الصور التي قد يقدّم العبد فيها النافلة على الفريضة:

الصورة الأولى: الخشوع في صلاة التراويح وإهمال ذلك في صلاة العشاء، والعشاء فرض والتراويح سنة.

الصورة الثانية: قيام الليل والنوم عن صلاة الفجر.

الصورة الثالثة: اعتكاف العشر الأواخر على حساب رعاية الأهل، فيدعُ أحدهم أهله يقضون أفضل الليالي في الأسواق أو فريسة للفضائيات ثم يعتكف، فتربيتهم ومتابعتهم واجب والتفرغ للعبادة سنة، فإذا لم يمكن أن يجمع بين الأمرين فليقدم الواجب على السنة.

الصورة الرابعة: أكل الحرام مع طول القيام، وفي ذلك يقول وهيب بن الورد: لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أم حرام. واتفق معه في نفس الرأي سفيان الثوري حين قال: انظر درهمك من أين هو وصلٍ في الصف الأخير!!

الصورة الخامسة: القعود عن طلب الرزق والانقطاع للعبادة، ويُستثنى من ذلك اعتكاف العشر الأواخر، ولذا لما سأل رجل الحسن البصري وقال: يا أبا سعيد .. أفتح مصحفي فأقرأه حتى أمسي؟! قال الحسن: اقرأه بالغداة واقرأه بالعشي، وكن سائر نهارك في منفعتك وما يصلحك.

الصورة السادسة: الإكثار من النافلة مع عقوق الوالدِ والوالدة، واسمع كيف فهم الصحابة قدر برِّ الوالدين وحثُّوا عليه:

عن عطاء بن يسار أنه كان جالسا عند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه أعرابي فقال: إني خطبتُ امرأة، فخطبها غيري

فتزوجته وتركتني، فغدوت عليه فقتلتُه، فهل لي من توبة؟! فقال: ألك والدان حيان أو أحدهما؟ قال: لا. قال: تقرب إلى الله عز وجل بما قدرت عليه، فقلنا له بعد ما خرج، فقال: لو كانا حيين أبواه أو أحدهما رجوتُ له، إنه ليس شيء أحط للذنوب من بر الوالدين.

الصورة السابعة: مواصلة الصيام وتقطيع الأرحام، مع أنه لا يدخل الجنة قاطع، ولما كان قاطع الرحم نذير شؤم، تباعد الصالحون عنه وفروا منه فرارهم من الأسد.

جلس كعب الأحبار يومًا يعظ الناس بدمشق حتى إذا فرغ قال: إنا نريد أن ندعوا، فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وكان قاطعًا إلا قام عنا، فقام فتى من القوم فذهب إلى عمة له كان بينه وبينها هجرة، فدخل عليها فصالحها، فقالت: ما بدا لك؟! فقال: سمعت كعبًا يقول كذا وكذا.

الصورة الثامنة: لبس ملابس الأبرار مع الإساءة إلى الجار. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها! فقال رسول الله ﷺ: **"لا خير فيها؛ هي من أهل النار"**. قال: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار (من الأقط)، ولا تؤذي أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: **"هي من أهل الجنة"**. (صحيح)

القفل الخامس: القاتل الخفي:

وهذا القاتل هو التدخين، فالارتباط بين التدخين والحالات الصحية الخطيرة ارتباط وثيق، فإذا كنت تدخن ٢٠ سيجارة أو أكثر في اليوم الواحد، فإنك معرض للموتِ بالسكتة القلبية خمسة أضعاف أولئك الذين لا يدخنون، ومعرض للإصابة بالنوبات القلبية ثلاثة أضعافهم، ويمكن لضعف انسياب الدم إلى المخ أن يؤدي بك إلى السكتة الدماغية، بل كشفت واحدة من أحدث الدراسات العلمية أن التدخين مسئول عن ١٢٪ من إجمالي الوفيات في العالم.

وعجيب أمرك أيها المُدخّن .. إنك في الأيام العادية لا تستطيع الصبر عن التدخين أكثر من ساعتين، أما في رمضان فتصبر أكثر من نصف اليوم .. **فما السبب يا ترى؟!**

إنها إرادتك التي استطاعت أن تكابد الصوم لأكثـــر من اثنتي عشرة ساعة، أتعجز بعدها عن أن تواصل مسيـــرة الإصلاح؟!! والعزيمة التي صمدت عن تعــاطي هذا البــلاء طــوال النهار.. أتنهار حين تُرخي العتمة الستار، ويعانق الليل النهار؟!!

أخي! إياك أن ترجع عبدًا غدًا بعد أن تنشّقت عبيـــر الحرية اليوم، واعلم أن الهمة الضعيفــة والإرادة الخائــرة ليســت سوى قطاع طرق، والطريق آخره الجنة، فحدّد موقفك!!

أسرع مما تتخيّل!!

أخي المدخِّن.. يبشِّرك الأطباء والمختصون أنك لن تنتظر طويلا حتى تجني ثمرة توقفك عن التدخين، فبمجرد إقلاعك عن التدخين ومرور:

- ٢٠ دقيقة: سيرجع ضغط الدم ونبضك إلى المعدل الطبيعي.
- ٨ ساعات: سينخفض تركيز النيكوتين وأول أكسيد الكربون في الدم إلى النصف.
- ٤٨ ساعة: لن يعود للنيكوتين أي أثر في جسدك.
- ٧٢ ساعة: سيصبح تنفسك أسهل، ويزداد معدل الطاقة والنشاط.
- ٢-١٢ أسبوع: ستتحسن دورتك الدموية بشكل ملحوظ، وتصبح التمارين الرياضية أكثر سهولة.
- ٣-٩ أشهر: ستتحسن متاعب الكحة والسعال ومشاكل التنفس.

أنا لا أدخِّن!!

أعرف.. لكن على الرغم من ذلك: فمازال عليك واجب ولك دور، وهو أن تنقل مضمون هذه الرسالة إلى جار سكن أو زميل

عمل أو قريب من أقربائك، واستغل هذه الفرصة: فالمعافاة اليوم أقرب منها من أي وقت مضى، وفرص الشفاء سانحة، وأجر الهداية ينتظر كلمة واحدة منك ليكتب في صحيفتك، وكلمتك اليوم نافعة نافعة، هذا ما وعد الرحمن وصدق، واسمع إليه وهو يصف الكلمة الطيبة ويقول:

﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ إبراهيم: ٢٥

فلا تقُل بعد الآن: ومن سيسمعني والداء وبيل والبلاء مستحكم، بل ثق في وعد ربك لك، واعلم أن كلمتك ستثمر ولو بعد حين، وإن حدث وأقلع من دعوت عن التدخين ولو بعد عشرين عاما أو ثلاثين: فاعلم أنه كان لكلمتك دور وإن لم تكن تراه، لكن الله رآه وأحصاه، وبارك فيه ونمّاه، وسيجزل لك المثوبة حين تلقاه.

....

....

....

....

....

عيدك الحقيقي

قال أبو إسحاق الألبيري مبيِّنا حقيقة العيد:

ما عيدك الفخم إلا يـوم يُغفـر لك
لا أن تجـــرَّ بــه مستكبـرًا حللـك
كم من جديد ثـيـاب دينـه خلـق
تكاد تلعنه الأقطـار حيـث سلـك
ومـــن مُرَقَّـــع الأطـمــار ذي ورع
بكت عليه السما والأرض لما هلك

احمل هذه الرسالة



يا رمضان ..
بلّغ ربنا عنا: لأجل الله صلينا
وجاهدنا وضحّينا
وجافينا فراش النوم ..
والغفلاتِ جافينا
وأقبلنا على رضوانه ..
نرجو كرامته حوالينا
وأسرعنا إلى قرآنه شوقًا ..
وبالتقوى تداوينا
إلى أنواره لُذنا ..
وفي محرابه ذُبنا ..
تناجينا
فيا ضيفًا ..
أيا رمضان ..
ودمع العين منهمرٌ.. غزيرٌ مُذ تلاقينا
فكيف الحال حين تغيب .. يا ويلي إلى أينا؟!
إلى ربٍّ تغادرنا ..
لتشهد أننا قومٌ ..
تسامينا
أو الأخرى:
نسينا عهد مولانا ..

على الدنيا تباكينا
فناشد ربنا عفوا ..
يسرُّ القلب والعينا
أليس العفو من سيماه؟!
أليس هلاكنا لولاه؟!
أليس يجيب من ناداه؟!
يمد إلى العصاة يداه
لذا عُدنا ولبّينا

اللهم لك الحمد أن أكرمتنا بهذا الضيف دون صالح عمل منا أو فضل، ولك الحمد أن أذنتَ لنا بذكرك بل أمرتنا به، ولك الحمد أن سمحت لنا بسؤالك بل أثبتنا عليه، ولك الحمد أن أوجبت علينا شكرك لتهبنا المزيد، وهل بعد هذا الكرم من كرم؟! ومن أحق بالرجاء منك؟!

إلهي! أتسمح لنا أن نناجيك ونقول:

لطفك في البدايات جعلنا نطمع في لطف النهايات، وإحسانك إلينا قبل أن نطلب جعلنا نثق في أنك لن تُخيّب رجاء من يطلب، وتبليغك إيانا هذا الشهر رغم تفريطنا في جنبك جعلنا نرجو ما لا نستحق من الكرامة، لكن حسبنا أن حجّتنا لديك: حاجتنا .. وكنزنا عندك: فاقتنا .. وسبيلنا إليك: إنعامك .. وشفيعنا لديك: إحسانك.

فيا من وثقت بعفوه زفرات المذنبين فما خذلها ..

ويا من خرقت السبعَ الطباق دعواتُ التائبين فما ردّها ..

وقفت سائلاً ببابك .. باكيًا على أعتابك، ورَست سفينة نفسي على ساحل كرمك ترجو الجواز إلى رحمتك ورضوانك، فكيف تخذلني؟!

اللهم لا تُبعد مِن اقترب منك، ولا تطرد من ابتعد عنك .. اللهم إني أعوذ بك من روَغان القلوب وتبعات الذنوب ومُرديات الأعمال

ومُضلات الأنفس.

اللهم ما كتبتُ من كلمة إلا أردت بها وجهك، وما بحتُ بخاطر إلا لأنال عفوك، وما رسمتُ حرفًا إلا ليخرّ ساجـدًا على الورق إجلالاً لعظمتك، فتقبّل حسناتي، واغفر فجراتي، ولا تؤاخذني على زلاتي، واغفر لمن مرّت عينه على كلماتي، ولا تجعل حالي مع إخوانـي وأخواتي: طبيبٌ يداوي والطبيب مريض!!

كتبه حامدًا تائبًا

الفقير إلى عفو ربه وصفحه

خالد أبوشادي

بيّض الله وجهـه ووقـاه … حسرة الفـوت يـوم أن يلقاه

أسكن الله من قـال آميـن … جنة الفردوس واستجاب دعاه

تم بحمد الله

فهرس الزيارة

الفصل الأول: رمضان كريم

الفصل الثاني: كرم الضيافة

الفصل الثالث: الأقفال الخمسة

من الطارق

أنا رمضان

أسكب الأنوار فجراً في قلوب مظلمة
أملأ الأرواح طهراً في نفوس هائمة
أجعل التقوى دليلاً كي تعود إلى الطريق
أمةٌ عزت وسادت يوم عاشت مسلمة

أنا رمضان

دمعة العاصي بليلٍ خجلةً ممن عصاه
سجدة الملهوف للرحمن يستجدي رضاه
موجة الإيمان ألقت نحو شطآن النجاه
نفحةٌ من فضل ربي جلَّ ربي في علاه

أنا رمضان

قوة الإيمان في حرب لظاها دائرة
نجدة الأقصى الذي يشكو الجراح الغائرة
دمة المسكين أمحوها بوعد لن يغيب:

نصركم آتٍ قريب يا قلوباً طاهرة

---

٢٤ شارع شريف حلوان - القاهرة
ت: ٠١٠١٣٩٠٢٩٢
E-mail : tibaadv@yahoo.com